



مختصر دليل

الراقي والمستفيد

تأليف:

محمد بن زيد الكشيري

المرشد الديني سابقاً بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ

مختصر دليل الراقي والمستفيد

تأليف:

محمد بن زيد الكشيري

المرشد الديني سابقاً بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ

(ح) دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع ، ١٤٤٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكثيري، محمد بن زيد

مختصر دليل الراقي والمستفيد . / الكثيري، محمد بن زيد.

مكة المكرمة ، ١٤٤٧هـ.

١٤٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٢٠-٧٧-٢

١٤٤٧/١١٧٦٢

رقم الإيداع : ١٤٤٧/١١٧٦٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٢٠-٧٧-٢



التيك توك: قناة نظرات حول
اضطرابات النفس وعلاجها



YouTube



اليوتيوب: قناة نظرات حول
اضطرابات النفس وعلاجها

اضغط للانتقال للقناة

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	برقية شكر لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر ابن عبدالعزيز آل سعود حفظ الله أمير منطقة الرياض
٧	المقدمة
٩	وقفات حول الرقية الشرعية
٢٥	الوقفه الأولى: حول الرقية مع النفث ببعض السور والآيات.
٢٩	الوقفه الثانية: حول أثر الرقية الشرعية
٣٦	الوقفه الثالثة: حول العزائم أو كتابة الآيات
٤٠	الوقفه الرابعة: حول الحكم الشرعي للجلوس في المقرأة.
٤١	الوقفه الخامسة: حول أثر الدعاء والأذكار
٤٦	الوقفه السادسة: حول الهم والحزن.
٥٠	الوقفه السابعة: حول الرؤى والأحلام
٥٦	وقفات حول الطب النبوي
٦١	الوقفه الأولى: حول العسل
٦٢	الوقفه الثانية: حول الحبة السوداء
٦٣	الوقفه الثالثة: حول القسط الهندي
٦٥	الوقفه الرابعة: حول ماء زمزم
٦٥	الوقفه الخامسة: حول التلبينة
٦٧	الوقفه السادسة: حول السنّا
٦٨	الوقفه السابعة: حول زيت الزيتون.
٦٩	الوقفه الثامنة: حول الكمأة.
٧٠	الوقفه التاسعة: حول التمر.
٧١	الوقفه العاشرة: حول ألبان الإبل وأبواها.
٧٢	الوقفه الحادية عشرة: حول نبات الصبر

الصفحة	الموضوع
٧٣	الوقفة الثانية عشرة: حول الكبّاث.
٧٣	الوقفة الثالثة عشرة: حول الملح.
٧٤	الوقفة الرابعة عشرة: حول الحجامّة والكّي.
٧٥	وقفات حول حقيقة تلبس الجنّ بالإنس
٧٦	الوقفة الأولى: حول صرع الجن
٨٢	الوقفة الثانية: حول لغات الجن
٨٤	الوقفة الثالثة: حول الصرع العصبي.
٨٦	الوقفة الرابعة: حول عداوة الجنّ للراقي المعالج.
٨٧	وقفة حول أثر مجالس الذكر
٩٠	وقفات حول العين والحسد
٩٩	الوقفة الأولى: حول أثر إصابة العين
١٠٤	الوقفة الثانية: حول قرائن الإصابة بالعين في أثناء الرقية.
١٠٨	وقفة حول أثر السحر
١١٥	وقفات حول رؤية الجنّ بين الحقيقة والوهم
١١٩	الوقفة الأولى: حول وهم رؤية الجن.
١٢٠	الوقفة الثانية: أثر تعاطي المخدرات
١٢٢	وقفة حول أثر الوهم
١٢٨	وقفة حول العلاج بالتخييل
١٣٠	- شبهة والجواب عنها
١٣٣	وقفة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجنّ أو السحر أو العين وبين المريض النفسي وغير المريض في أثناء الرقية
١٣٨	وقفة حول أثر المعصية
١٤٠	وقفة حول أثر الفراغ.
١٤٢	وقفة حول الأخطاء الشائعة



سجل ديوان الإمارة (٧٠٠١٥١٩٣٤٢)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الملك عبدالعزيز آل سعود
وزارة الداخلية
(٢٧٢)
إمارة منطقة الرياض
(٠٠١)
مكتب الأمير

الموضوع: برقية شكر

(برقية)

سعادة الأستاذ/ محمد بن زيد الكثيري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا خطابكم المتضمن نسخة من كتاب بعنوان "دليل الراقي والمستفيد" الذي احتوى على وقفات حول الرقية الشرعية والطب النبوي.

نشكركم على هذا الإهداء، متمنين لكم مزيداً من التوفيق والنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أمير منطقة الرياض

فيصل بن بندر بن عبدالعزيز



الملك عبدالعزيز آل سعود
مجلس الشورى
مكتب الرئيس
١٥٠

سَلِّمَهُ اللهُ

فضيلة الشيخ / محمد بن زيد الكثيري

المرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:-

فقد تلقيت - بالتقدير - خطابكم المؤرخ في ١٤٤٧/٣/٢٢ هـ، المرفق به إهداؤكم نسخة من كتابكم الموسوم بـ "دليل الراقي والمستفيد".

واني لأشكركم على إهدائي هذه النسخة من الكتاب، متمنياً لكم التوفيق والسداد.

وتقبلوا تحياتي وتقديري...»

رئيس مجلس الشورى

د. عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

١٤٤٧ ٤ ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

الحمد لله الذي أزهد أباطيل الكهّان بالفرقان ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

بعدما صدرت بفضل الله ﷻ الطبعة الخامسة لكتابي (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي)، وكذلك الطبعة الثانية للمختصر، أشار عليّ بعض الفضلاء من أهل الاختصاص أثابهم الله بانتقاء بعض الوقفات وكذلك إضافة ما لم أتطرق إليه من قبل، وتبسيط الضوء على الراقي المعالج، وكذلك المستفيد.

(والمستفيد) مصطلح يطلق في الوقت الحاضر على المريض في بعض الجهات العلاجية، وكذلك على المراجع في البنوك وشركات الاتصالات ونحوها. والمراد باستعماله في عنوان هذا الكتاب، هو التفاؤل باستفادة المريض من محتواه، ولعله يكون طريقاً إلى الشفاء العاجل بإذن الله ﷻ، كما كان الفأل الحسن هو هدي النبي ﷺ^(٢)، ولتعم الفائدة كذلك على أسرة المستفيد ونحوهم.

كما أنه لا يفوتني في مطلع هذا الكتاب أن أرفع أسمى كلمات الشكر والتقدير والعرفان إلى ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود وولي عهده محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظهم الله نظير الجهود المباركة التي يبذلونها للوطن الغالي ولا سيما المرضى.

والشكر موصول لصاحب السمو الملكي الأمير / فيصل بن بندر بن

(١) سورة الإسراء: (آية ٨١).

(٢) انظر: (ص ١١٢).

عبدالعزیز آل سعود حفظہ اللہ أمير منطقة الرياض على برقية الشكر. وبعد ما أمضيت أربعة عقود ولله الحمد والمنّة على العمل بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض وحصلت على خطاب شكر من المدير التنفيذي للمجمع، د. محمد بن مشيب الأحمري^(١)، وكذلك خطاب شكر من معالي الشيخ الدكتور/ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس مجلس الشورى، فجزاهما الله خيراً، أحببتُ يومها أن أضع بين يديّ القارئ الكريم خلاصة خبرتي^(٢) في العلاقة بين العين والسحر والمس من الجنّ وبين الاضطرابات النفسية في هذا المختصر الذي أسأل الله عز وجل أن ينفع به. ومن الله وحده أستمد العون والسداد والتوفيق. ومن كان لديه زيادة علم فليجد به علينا مشكوراً.

[https:// shorturl.at/mrd8d](https://shorturl.at/mrd8d)



محمد بن زيد الكثيري

المرشد الديني سابقاً بمجمع إرادة
والصحة النفسية بالرياض

١٤٤٧/٥/٦ هـ

٢٠٢٥/١٠/٢٨ م

<https://www.tiktok.com/@user1011397298172?-t=8s1UNij2CK08&-r=1>

تويتر: @0504Alkathiri

واتس: ٠٥٣٤٠٢٠٠٣٠

<https://youtube.com/chennel/UC3wx48ZIFTyk6AmjwtfNnA>

(١) انظر الخطاب (ص ١٤٤).

(٢) انظر كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي ص (٣٤٨).

وقفات حول الرقية الشرعية

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات»^(١).

قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ذلك أن الشفاء إنما يحصل لمن يتعمد الدواء، وهم المؤمنون، وضعوا دواء القرآن على داء قلوبهم»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله كذلك: «ومن هنا لبيان الجنس، لا للتبويض، فإن القرآن كله شفاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَنفُثُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ نَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٤).

فهو شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك والريب، فلم يُنزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن»^(٥).

ويقول رحمته الله في موضع آخر: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضع على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تُقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطَّعها، فما من مرض من أمراض

(١) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث، رقم: ٢١٩٢، ٤/١٧٢٣.

(٢) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٣).

(٤) سورة يونس: (آية ٥٧).

(٥) الجواب الكافي، (ص ٣).

القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دأئه وسببه، والحِميّة منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه»^(١).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾^(٢).

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعليقاً على هذه الآية.

«يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لشجرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُتُوبَنَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ

لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(٤) قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق الأرض فتستحيل أنهاراً وعيوناً، أو يقرأ على الموتى فيصيروا أحياء - لكان هذا القرآن المنزل عليك أيها الرسول - فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا أتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها»^(٥).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلاً، ومن لم

(١) زاد المعاد (٣/ ٨٧٥).

(٢) سورة القيامة، الآية (٢٦).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٠).

(٤) سورة الرعد (٣١).

(٥) مختصر تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٣).

يستشف بكتاب الله لم يزل علياً^(١).
وقال عامر بن عبدالله رحمه الله: «من لم يتعزَّ^(٢) بالقرآن عن الدنيا تقطعت
نفسه على الدنيا حسرات»^(٣).

والقرآن الكريم عالج أعظم داء وقعت فيه البشرية وهو الشرك بالله
سبحانه وتعالى، فكيف بغير الشرك من الأدواء؟! قال تعالى:
﴿الرَّكَتَدُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان، أو كانت به
قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان سبابته
بالأرض ثم رفعها - «بسم الله، تربة أرضنا بريقة^(٥) بعضنا يُشفى به
سقيمنا بإذن ربنا»^(٦).

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة
العربية السعودية رقم (١٨٤٥٠) ونصه:

«س: كثر في هذه الأيام أدعياء الطب من غير الأطباء المعتمدين من قبل
وزارة الصحة، ونظراً لخطورة فئة منهم على العقيدة الإسلامية، فإنني أرجو أن

(١) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٣٨).

(٢) (تعزَّى): في المعاجم العربية لها أكثر من معنى بحسب السياق، تعزَّى بالصبر: أي تصبَّرَ
(لسان العرب لابن منظور ٥٢ / ١٥).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل رحمه الله (ص ١٨٤).

(٤) سورة إبراهيم: (آية ١).

(٥) قال جمهور العلماء: (أرضنا بريقة) المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، وقيل: أرض المدينة خاصة
لبركتها، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة
ثم يضعها على التراب فيعلق منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا
الكلام في حال المسح. شرح صحيح مسلم للنووي (١٤ / ٤٠٤).

(٦) صحيح البخاري برقم (٥٧٤٥)، وصحيح مسلم برقم (٢١٩٤) واللفظ له.

أسمع رأي ديننا الإسلامي الحنيف في من يدعي أنه يعالج الناس بالكتاب والسنة ويقوم بفحص المرضى رجالاً ونساءً، وتشخيص أمراضهم ويصف لهم علاجات، ويقرأ لهم في الماء والعسل وغيره، مع أنه قد لا يعرف أصول الدين أو كيف يأخذ من الكتاب والسنة، على سبيل المثال: سمعت شريطاً لأحد المشايخ يقول: إن علاج القلق هو أن يقرأ المريض كل يوم جزءاً من القرآن وتفسيره من ابن كثير، فكيف يكون أصل هذا العلاج من الكتاب والسنة؟

ج: رقية المريض بدنياً أو نفسياً أو من عين أو سحر أو غير ذلك لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية الصحيحة، وإذا كان ذلك ممن يُعرف بالعقيدة السليمة والالتزام بالأمر الشرعي، والمعرفة بأمور الطب فيما يخصّ التداوي بالأدوية المباحة^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

- ١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.
 - ٢ - وأن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.
 - ٣ - وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.
- واختلفوا في كونها شرطاً، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة، ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنّا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ قال: **(اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)**^(٢).

(١) كما قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الطب: «إنه تجربات وقياسات». مجموع الفتاوى (٤٣/٧)، وانظر كذلك إلى كلام ابن القيم رحمه الله لأوصاف الطبيب الحاذق في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك. برقم (٦٤) (٤/١٧٢٧).

وله من حديث جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاءه آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله: إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب. قال: فعرضوا عليه فقال: **(ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل)** ^(١).

وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطاً، والشرط الآخر لا بد منه). ١. هـ ^(٢).

وما لا يعقل معناه إن لم يؤد إلى الشرك فإنه يفتح باب الشعوذة وتسويغ أعمال السحرة والمبتدعين والخرافيين.

أما من يدعون علم الغيب أو يستحضرون الجن أو أشباههم من المشعوذين أو المجهولين الذين لا تعرف حالهم ولا تعرف كيفية علاجهم فلا يجوز إتيانهم، ولا سؤالهم، ولا العلاج عندهم؛ لقول النبي ﷺ: **(من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة)** ^(٣). وقوله ﷺ: **(من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)** ^(٤).

وأحاديث أخرى في هذا الباب كلها تدل على تحريم سؤال العرافين والكهنة وتصديقهم، وهم الذين يدعون علم الغيب أو يستعينون بالجن أو يوجد من أعمالهم وتصرفاتهم ما يدل على ذلك، وفيهم وأشباههم ورد الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد جيد، عن جابر رضي الله عنه قال: سئل

(١) صحيح مسلم، السلام، (٢١٩٩)، سنن ابن ماجه، الطب، (٣٥١٥)، ومسند أحمد (٣/٣١٥).

(٢) الفتح (١٠/١٩٥).

(٣) صحيح مسلم، السلام، (٢٢٣٠)، مسند أحمد (٤/٦٨).

(٤) سنن الترمذي، الطهارة (١٣٥)، سنن أبو داود، الطب (٣٩٠٤)، سنن ابن ماجه، الطهارة وسننها (٦٣٩)، مسند أحمد بن حنبل (٤٧٦/٢)، وسنن الدارمي، الطهارة، (١١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩٣٩).

النبي ﷺ عن النُّشْرَةِ، فقال: **(هي من عمل الشيطان)** ^(١).
وفسّر العلماء هذه النُّشْرَةَ: بأنها ما كان يُعمل في الجاهلية من حل السحر
بمثله، ويلتحق بذلك كل علاج يستعان فيه بالكهنة والعَرَّافين وأصحاب
الكذب والشعوذة.

ومن الأدعية المشروعة: **(بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل
نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك)** ^(٢)، ومنها: **(اللهم رب الناس
أذهب البأس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً)** ^(٣).
ومنها: أن يضع الإنسان يده على موضع الألم الذي يؤلمه من بدنه
فيقول: **(بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)** ^(٤) سبع
مرات. إلى غير ذلك.

أما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها على المريض فلا يجوز على
الصحيح؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال: **(إن الرقى والتائم والتولة
شرك)** ^(٥) ويستثنى من ذلك ما أجازاه الشرع من الرقى.
أما النفث في الماء، فإن كان المراد به التبرُّك بريق النافث فهو حرام،
ويُعدّ من وسائل الشرك؛ لأن ريق الإنسان ليس بركة ولا شفاء، ولا أحد
يُتبرَّك بريقه إلا رسول الله ﷺ.

(١) سنن أبي داود، الطب (٣٨٦٨)، مسند أحمد (٣/٢٩٤).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٦).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ برقم
(٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم (٢١٩١) كما أخرجه
البخاري من حديث أنس برقم (٥٤١٠).

(٤) صحيح مسلم، السلام، (٢٢٠٢)، سنن الترمذي، الطب، (٢٠٨٠)، سنن أبي داود، الطب
(٣٨٩١)، وابن ماجه، الطب، (٣٥٢٢)، مسند أحمد، (٤/٢١٧)، موطأ مالك الجامع، (١٧٥٤).

(٥) سنن أبي داود رقم (٣٨٨٣).

وأما النفث بالريق مع تلاوة القرآن الكريم والأدعية، مثل أن يقرأ الفاتحة، والفاتحة رقية وهي أعظم ما يرقى به المريض، فهذا لا بأس به، وقد فعله أصحاب النبي ﷺ في رقية اللديغ فشفاه الله، وأخبروا النبي ﷺ بذلك فأقرهم عليه، وقال: (أصبتم)، وهو مجرب ونافع بإذن الله، وقد كان النبي ﷺ ينفث في يديه عند نومه بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فيمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده ثلاث مرات.

أما ما جاء في السؤال من أن علاج القلق هو قراءة جزء من القرآن وتفسيره من ابن كثير فلا أصل له، لكن القرآن كله مما يُرقى به وينفع الله به. وأما تخصيص آيات معينة لرقية بعض الأمراض بلا دليل فلا يجوز، فإن القرآن خير كله وشفاء للمؤمنين، ومن أعظم ما يُرقى به منه الفاتحة كما سبق^(١). ويجب التنبيه إلى أن القرآن ما نزل ليكون دواء لأمراض الناس البدنية فقط، لكن نزل لأمر عظيم وخطب جليل؛ ليكون نذيراً للعالمين وهادياً إلى صراط الله المستقيم، وحاكماً بينهم فيما يختلفون فيه، ومحذراً من طريق الكفر والكافرين، وهو مع هذا ينفع الله تعالى به عباده المؤمنين من أسقامهم الدينية والبدنية، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم^(٤).

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس
بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) ومن أسماء الفاتحة (الرقية).

(٢) سورة فصلت: (آية ٤٤).

(٣) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (١ / ٧٢).

وقد سئل معالي الشيخ الدكتور/ عبدالكريم بن عبدالله الخضير -وفقه الله- عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى سابقاً: «هل تُمنع الرقية الشرعية إذا كان المريض لا بد له من التدخل الجراحي، كأن يكون التدخل لاستخراج الحصى وغيرها من جوف البدن، أو أن تكون الرقية الشرعية للمكسور أو من به فتق فاحتاج إلى خياطة وغيرها مما يحتاج إلى تدخل محسوس؟

فأجاب - حفظه الله -: أن الرقية جاءت بها النصوص، وهي سبب شرعي معتبر له أثره العجيب، ولا سيما إذا كان الراقي من أهل الخير والفضل والصلاح والعلم، فلا شك أن لها أثراً كبيراً، ولها أثرها حتى في الأمور المحسوسة، والنص في السؤال يقول: (كأن يكون التدخل لاستخراج الحصى)، أذكر مسألة واقعة لامرأة كبيرة في السن قرّرها عملية لاستخراج حصى من المرارة أو من الكليّة - نسيت الآن - فطلبت الخروج من المستشفى للاستخارة، فأخذت كأساً من ماء زمزم فقرأت فيه سورة الفاتحة والمعوذتين، فشربته فخرجت الحصى، ثم رجعت إلى المستشفى وأجري لها تحليل فقليل لها: الحصى ليست موجودة، فماذا صنعت؟ قالت: قرأت القرآن في ماء زمزم، والقرآن لو أنزل على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله، فالجبل يخشع ويتصدّع بسبب القرآن، فتأثيره في هذه الحصى الصغيرة أمر لا شك أنه واقع، وقد وقع، فلا ييأس الإنسان، بل الأصل أن الإنسان يرقى نفسه كما كان النبي ﷺ يفعل، «كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيّه بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يده من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن

أفعل ذلك به»^(١)، وأيضاً لا مانع من فعل الأسباب المحسوسة، فيتضافر هذا وهذا، والكل إن شاء الله فيه خير، فيجمع بينهما، ولا مانع، ومن العامة من يرى أنه لا أثر للرقية مع العلاج المحسوس، وهذا الكلام ليس بصحيح، نعم قد يتأخر تأثير الرقية إذا اعتمد اعتماداً كلياً على الطيب أو على العلاج، وارتبط به ارتباطاً ونسي المسبب، فقد لا يتأثر بالرقية كما هو مجرب ومُشاهد، والرقية أيضاً لا شك أنها سبب من الأسباب قد يترتب عليها أثرها لانتفاء المانع، وقد لا يترتب عليها أثرها لوجود المانع»^(٢) انتهى الجواب.

وحول هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إن كثيراً من المرضى، أو أكثر المرضى يُشفون بلا تداوٍ، ولا سيما في أهل الوباء والقرى والساكنين في نواحي الأرض، يشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة للمرض، وفيما يسره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء»^(٣).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»، قال معاوية^(٤): بلغني في أن البطلة السحرة. رواه مسلم برقم (٨٠٤).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **من قرأ بالآيتين من آخر سورة**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، حديث رقم (٥٧٤٨)، (١٣٣/٧).

(٢) صحيفة الجزيرة، الجمعة ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، العدد ١٦٠٧٣.

(٣) مجموع الفتاوى (٥٦٣/٢١).

(٤) هو ابن سلام أحد رواة الحديث.

البقرة في ليلة كفتاه^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عن آية الكرسي: جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضب من كثرته وقوته فإن لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب، وأرباب سماع المكاء والتَّصديّة إذا قرئت عليهم بصدق^(٢) دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني^(٣).
ويؤيد هذا الكلام قصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان^(٤).

وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه في أهله ولا ماله ولا يقرآن على مجنون^(٥) إلا أفاق)^(٦).

وفي صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن^(٧).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، رقم (٥٠٠٩)، (٦/١٨٨).

(٢) انظر: كلام الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، (ص ٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٥/١٩).

(٤) انظر: ص (١١٧).

(٥) قلت: مجنون يعني بذلك رضي الله عنه نتيجة صرع الجن، والله أعلم. انظر: (ص ٧٦).

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١/٧٠).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة (قل هو الله أحد) رقم (٨١١)، (٥٥٦/١).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (عمّن يقرأ القرآن، هل يقرأ سورة الإخلاص مرة أو ثلاثاً؟ وما السنة في ذلك؟
فأجاب: إذا قرأ القرآن كله ينبغي أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة، هكذا قال العلماء؛ لئلا يُزاد على ما في المصحف وأما إذا قرأها وحدها، أو مع بعض القرآن، فإنه إذا قرأها ثلاث مرات، عدلت القرآن. والله أعلم^(١)).

وأما الحديث في (الفاحة) فروى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد ابن المعلّى قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. قال: (ألم يقل الله ﷻ أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴿ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم^(٢) ».

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله في بيان اشتغال الفاتحة على شفاء الأبدان. (وأما تضمنها لشفاء الأبدان: فنذكر منه ما جاءت به السنة، وما شهدت به قواعد الطب، ودلت عليه التجربة.

فأما ما دلت عليه السنة: ففي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء، فيهم لديغٌ أو سليم^(٣)، فعرض لهم رجلٌ من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راقٍ، إن في الماء رجلاً

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (١١٩/٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٢، الناشر: دار الوفاء بمصر.

(٢) صحيح البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٦).

(٣) كناية عن اللديغ تفاؤلاً بالسلامة. انظر: (ص ١١٢).

لديغاً أو سليماً، فانطلق رجلٌ منهم، فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء^(١)، فبرأ^(٢)، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»^(٣). وزاد مسلم: «كلوا واضربوا لي معكم بسهم»^(٤).

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة^(٥) عليه، فأغتنه عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء. هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلاً^(٦). ويقول ﷺ في موضع آخر: (وأما شهادة التجارب بذلك: فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كل زمانٍ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري

(١) شاء جمع شاة، بمعنى قطيع من الغنم وذلك مقابل أجرة الرقية، وقد صدرت فتوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بجواز تحديد الأجرة. انظر: ص (٤٠).

(٢) يعني: اللديغ.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، رقم: (٥٧٣٧)، (١٣١/٧).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠١) بلفظ مقارب.

(٥) ويقول ﷺ في موضع آخر: (وفي تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها في علاج ذوات السموم سرٌ بديع، فإن ذوات السموم أثرت بكيفيات نفوسها الخبيثة... وسلاحها حُماتها التي تلدغ بها، وهي لا تلدغ حتى تغضب، فإذا غضبت ثار فيها السُّم فقذفته بآلتها وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل دواء داء، ولكل شيء ضد، ونفس الراقي تفعل في نفس المرقى، فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء فتقوى نفس المرقى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فتدفعه). زاد المعاد (٤/٢٥٤).

(٦) (مدارج السالكين (ص: ٣٩)، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ، دار ابن حزم بيروت - لبنان).

أمرًا عجيبًا، ولا سيما مدة المقام بمكة - أعزّها الله تعالى -، فإنه كان يعرض لي آلام مزعجة، بحيث تكاد تقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مرارًا عديدة، وكنت آخذ قدحًا من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مرارًا، فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان، وصحة اليقين، والله المستعان^(١).

ويقول ﷺ في موضع آخر: (ومن أعظم ما يندفع به شرّ - أي شيطان - قراءة المعوذتين وأول سورة الصافات، وآخر سورة الحشر)^(٢).

ويقول ﷺ في موضع آخر: (وكان شيخنا^(٣) إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعتة يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها - من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة - قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة، قال: ثم أقفل عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبه.

وقد جربت^(٤) أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته.

وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

(١) مدارج السالكين ص (٤١) الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ دار ابن حزم بيروت - لبنان.

(٢) الوابل الصيب (ص ١١٥).

(٣) يعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٤) الكلام لابن القيم رحمه الله.

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١﴾

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (٣).

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ

إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٤).

الخَامِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ

مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٥).

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ

فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦) (٧).

وقال الحسن البصري رحمه الله: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه

الآية (٨)، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

(١) سورة البقرة: (آية ٢٤٨).

(٢) سورة التوبة: (آية ٢٦).

(٣) سورة التوبة: (آية ٤٠).

(٤) سورة الفتح: (آية ٤).

(٥) سورة الفتح: (آية ١٨).

(٦) سورة الفتح: (آية ٢٦).

(٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٧١).

(٨) تفسير البغوي (١٤٣ / ٥) بتصرف.

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥٦﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٧﴾^(١).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله تعالى من كل سلطان ظالم، ومن كل شيطان مريد، ومن كل سبع ضار، ومن كل لص عاد: آية الكرسي، وثلاث آيات من سورة الأعراف [٥٤ - ٥٧] وعشرًا من الصافات، وثلاث آيات من الرحمن [٣٣ - ٣٥]، وخاتمة سورة الحشر [٢١ - ٢٤]»^(٢).

ومن فتاوى (نور على الدرب للشيخ محمد ابن عثيمين رحمته الله): ورد سؤال ما نصه: «المستمع الذي رمز لاسمه بـ: ي وس من سوريا درعاء يقول في رسالته: فضيلة الشيخ هل يجوز التداوي ببعض آيات القرآن الكريم؟ وإن كان كذلك فكيف تتم هذه المداواة؟ وما الطريقة؟ وهل التداوي بالقرآن لكافة أنواع الأمراض، أم لمرض معين؟ وإن كان كذلك فما هو؟ أرشدونا بارك الله فيكم؟

فأجاب رحمته الله: نعم يجوز التداوي بالقرآن العظيم؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ المعوذتين يتعوذ بهما، وقال: (ما تعوذ متعوذ بمثلها). فيقرأ على المريض الآيات المناسبة لمرضه، مثل أن يقرأ لتسكين المرض والألم: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤). ويقرأ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

(١) سورة القلم: (آية ٥١، ٥٢).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤/ ١٢٧)، وابن أبي الدنيا في (الذكر) كما في الدر

المشور (٣/ ٤٧١).

(٣) سورة الإسراء: (آية ١٧).

(٤) سورة الأنعام، (آية: ١٢).

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

أو نحو ذلك من الآيات المناسبة. وكذلك يقرأ الفاتحة، فإن النبي ﷺ ذكر أنها رقية يرقى بها المريض واللدغ، وينتفع بها بإذن الله، لكن يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء، ولكنه بحسب القارئ وبحسب المقروء عليه؛ لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة: فالفاعل لا بد أن يكون أهلاً للفعل، والمحل لا بد أن يكون قابلاً له، فلو أن أحداً من الناس قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به، فلا بد من الإيمان من القارئ والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كل من القارئ والمقروء عليه انتفع به»^(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: «ذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات سدر أخضر^(٣)، فيدقه بين حجرين^(٤)، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل^(٥)، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به^(٦) إن شاء الله، وهو جيد للرجل إذا حُبس^(٧) عن أهله»^(٨).

(١) سورة النمل، (آية: ٦٢).

(٢) ينظر: فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٤ / ٢).

(٣) ورق سدر حديث عهد بالقطف وغير يابس.

(٤) هذا في الزمن القديم، أما في زمننا هذا فيخلط في الخلط مع كمية يسيرة من الماء المقروء عليه، ثم بعد ذلك يضاف إلى كمية ماء قدر الاعتسال مرة واحدة فقط، وتكرر هذه الطريقة بقدر الحاجة والله أعلم.

(٥) القواقل يعني السور التي في أولها (قل). سورة الكافرون، والصمد، والمعوذتين.

(٦) أوصيت العديد من المراجعين بالعمل بهذا الأثر فلمسوا ثمرة الشفاء، والله الحمد، وهو نافع لطرد سموم الحسد بإذن الله.

(٧) ينظر: (ص ١٣٧).

(٨) ينظر: فتح الباري (١٠ / ٢٣٣).

الوقف الأول: حول الرقية مع النفث ببعض السور والآيات

الذي يظهر لي - والله أعلم - بعد سياق الآثار^(١) الواردة عن السلف رحمهم الله في قراءة بعض السور والآيات التي جاءت في الرقية النافعة بإذن الله، -والقرآن كله شفاء-، سواء أكان القائم عليها الراقي المعالج أو غيره كالمستفيد مع النفث^(٢)، أجمالها كالآتي:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ مَلِكٌ
يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾ سورة الفاتحة (سبع مرات).
﴿الْعَمَّ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْآخِرَةُ هُمْ يُوَفُّونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن

(١) ينظر: (ص: ٩، ١٥، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ١١٨، ١٣٦).

(٢) وإن مما ذكر ابن القيم رحمه الله عن النفث: «فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة. ولهذا تفعله السحرة كما يفعله أهل الإيوان. قال تعالي (ومن شر النفاثات في العقد) (الفرق: ٤). وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهاماً لها، وتمدُّها بالنفث والتفل الذي معه شيء من ريق مصاحب لكيفية مؤثرة. والسواحر تستعين بالنفث استعانة بيّنة، وإن لم تتصل بجسم المسحور. بل تنفث على العقدة وتعقدتها، وتتكلم بالسحر، فيعمل ذلك في المسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة. فتقابلها الروح الزكية الطيبة بكيفية الدفع والتكلم بالرقية وتستعين بالنفث؛ فأيهما قوي كان الحكم له. ومقابلة الأرواح بعضها لبعض وتجاربها وألتها من جنس مقابلة الأجسام ومحاربتها وألتها سواء. بل الأصل في المحاربة والتقابل للأرواح والأجسام ألتها وجندها، ولكن من غلب عليه الحس لا يشعر بتأثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها، لاستيلاء سلطان الحس عليه، وبعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها. والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفت بمعاني الحس عليه، وبعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها. والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفت بمعاني الفاتحة، واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته. والله أعلم» زاد المعاد (ص ٢٥٥-٢٥٦).

رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٦﴾ سورة البقرة

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٧﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ سورة البقرة

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٣١﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ سورة البقرة

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٣﴾ سورة الأنعام ﴿٣٤﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٥﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ سورة الأعراف

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنَّ الْفِي عَصَاكَ إِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْكُفُونَ ﴿١٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاحِرِينَ ﴿١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ سَاجِدِينَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٢٢﴾ . سورة الأعراف

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَافَعُكَ فَنَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣﴾ . سورة التوبة

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ وَيُخَيِّضُ اللَّهُ لِقَاءَ كَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٧﴾ . سورة يونس

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٨﴾ .

سورة الإسراء

﴿قَالُوا لِمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٢٩﴾ قَالَ بَلَىٰ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٣٠﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٣١﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٣٢﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يَقْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ .

سورة طه

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿٣٣﴾ . سورة المؤمنون

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ أَءَلَهُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱلْحَقُّ أَكْبَرُ ﴿٣٤﴾ . سورة النمل

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿٣٥﴾ فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٣٦﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣٧﴾ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٣٨﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٣٩﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِنِيَّةِ الْكَوَكِبِ ﴿٤٠﴾ وَحَفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٤١﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى ٱلْمَلَأِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقَدَّرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٤٢﴾ دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٤٣﴾ إِلَّا مَنْ خِطَفَ ٱلْخَطْفَةَ فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ شَهَابٍ نَّاقِبٍ ﴿٤٤﴾ . سورة الصافات

﴿يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي أَوَّلَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ . سورة الرحمن

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُمْ خَضِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣٥﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . سورة الحشر.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ . سورة القلم.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّتُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ . الزلزلة.

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . الكافرون
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ . الإخلاص (ثلاث مرات).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ . الفلق (ثلاث مرات).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ . الناس (ثلاث مرات).

الوقف الثانية: حول أثر الرقية الشرعية

إن من أروع الأمثلة لمعرفة مدى أثر الرقية على المريض، هي المقولة الشهيرة لابن القيم رحمه الله: (الرقية براقيها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع) ^(١).

فلا بد أن ندرك هذه المقولة جيداً حتى نستطيع التمييز ما بين تباين قوة تأثير الرقية وما بين ضعفها على المرضى المصابين بالأمراض النفسية والعضوية، وبين المرضى المصابين بتلبس الجن أو السحر أو العين.

قوله رحمه الله: (الرقية براقيها): يتبين لنا من خلال هذه العبارة أن تأثير الرقية يتفاوت من راقٍ إلى آخر في شفاء بعض المرضى بإذن الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكان بعض الشيوخ يرقى بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكان لها بركة عظيمة فيرقى بها غيره فلا يحصل ذلك فيقول: ليس ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ من كل أحد تنفع كل أحد) ^(٢).

وقال الأعمش رحمه الله: (حدثنا رجل كان يكلم الجن قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما أصحاب الأهواء فإننا نلعب بهم لعباً) ^(٣).

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (لو وضع الصدق ^(٤) على جرح لبرى) ^(٥).

(١) مدارج السالكين (ص: ٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٣٩).

(٣) تلييس إبليس لابن الجوزي رحمه الله (ص ٣٧).

(٤) انظر كلام شيخ الإسلام رحمه الله (ص ١٨).

(٥) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢ / ٢٢).

وليس المراد بمقولة ابن القيم رحمه الله كما يتصوره بعض العامة من الناس حينما حملوا هذه المقولة على غير محلها كما يعتقد بعضهم بأن تأثير الرقية ونفعها يتفاوت من راقٍ إلى آخر على قدر تفاوت قوة البدن ورفع الصوت وشخص البصر وقوة النفث^(١).

قال النووي رحمه الله: (والنفث نفخ لطيف بلا ريق)^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «النفث: نفخ مع ريق خفيف»^(٣).

وقد اشتكى لي أحد المراجعين من طنين في إحدى أذنيه استمر ما يقارب خمسة أيام نتيجة الرقية من أحد الرقاة بصوت مرتفع في إحدى أذنيه، علماً بأن المريض يتنفع بالرقية بمجرد سماعها^(٤) بإذن الله، قال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ﴾^(٥). قال طلحة بن مصرف رحمه الله: كان يقال إذا قُرئ القرآن عند المريض، وجد لذلك خفة. قال: فدخلت على خيثة وهو مريض فقلت: إني أراك اليوم صالحاً، فقال: إنه قُرئ عندي القرآن^(٦).

وقد تداول بعض الناس مقطعاً صوتياً لرقية سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز رحمه الله على أحد المرضى بسورة الفاتحة بصوت منخفض مع النفث. وقد استدعي المقام مدّ -إطالة - الصوت بحيث يكون مسموعاً دون أن يحدث ضرراً في أذن المريض المصاب بصرع الجن كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية^(٧).

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام رحمه الله عن القراءة بصدق (ص ١٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٨٢).

(٣) فتاوى نور على الدرب شريط (٢١٤).

(٤) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (١٩٨ و ٢٨٧).

(٥) سورة الجن: (آية ١٣).

(٦) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام (ص ٣٨٤).

(٧) انظر (ص: ٧٩).

وأما قوله ﷺ: (وقبول المحل): فعلى ضربين :

أحدهما: أن يكون المرض عضوياً^(١)، ويكون المرقى عليه على يقين بنفع القرآن وإن لم يكن مسلماً كما حصل في قصة اللديغ^(٢).

كما قال ابن القيم ﷺ: (إن مبنى الشفاء والبرء على دفع الضد بضده، وحفظ الشيء بمثله، فالصحة تُحفظ بالمثل، والمرض يُدفع بال ضد، أسباب رَبطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً وأمراً، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة، وقبول من الطبيعة المنفعلة، فلو لم تنفع نفس الملدوغ لقبول الرقية، ولم تقوَ نفس^(٣) الراقي على التأثير لم يحصل البرء.

فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة العليل^(٤). فمتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولا بد بإذن الله سبحانه وتعالى^(٥).

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ﷺ: يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء ولكنه بحسب القارئ وبحسب المقروء عليه لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة، فالفاعل لا بد أن يكون أهلاً للفعل، والمحل لا بد أن يكون قابلاً له، فلو أن أحداً من الناس

(١) انظر (ص ١٦).

(٢) سبق ذكرها: (ص ١٩).

(٣) ويقول ﷺ في موضع آخر: (الروح إذا كانت قوية وتكيفت بمعاني الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل، قابلت ذلك بالأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة فأزالته والله أعلم) (زاد المعاد الجزء الرابع ص ١٦٥).

(٤) انظر: (ص ٥٦).

(٥) مدارج السالكين: (ص ٤١).

قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به^(١)، فلا بد من الإيمان من القارئ والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كل من القارئ والمقروء عليه انتفع به^(٢).

أما الآخر: أن يكون السبب الرئيس لمعاناة المريض المرقى عليه هو نتيجة الإصابة بالعين أو السحر أو تلبس الجن مهما اختلفت الأعراض سواءً ظهرت بصورة مرض عضوي أو نفسي .

قوله رحمه الله: (كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع)^(٣) شبه تفاوت تأثير الرقية على المريض من راقٍ إلى آخر كتفاوت تأثير ضربة السيف من رجل إلى آخر حال القتال، فكلمًا تفوق أحدهما على الآخر بالشجاعة، كان لـضرب سيفه وقّع على هام^(٤) الرجال، وأثنى في العدو الجراح ما لم يحل بين ضربة سيفه وبين محل قطع الأعناق أو البنان^(٥) حائل.

بغض النظر عن قوة البدن، كما قال ابن القيم رحمه الله: (إنه لا تلازم بين قوة البدن وقوة النفس ولا بين ضعفه وضعفها، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف النفس جباناً خوّاراً، وقد يكون ضعيف البدن قوي النفس، فيكون شجاعاً مقداماً على ضعف بدنه)^(٦).

(١) كما قال ابن القيم رحمه الله، انظر: (ص ٧٦).

(٢) فضائل القرآن الكريم، (ص ٣٩٥).

(٣) كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ويقولون الصدق سيف الله في الأرض ما وضع على شيء إلا قطعه، (أمراض القلوب وشفائها)، (١ / ٤٠).

(٤) جمع لكلمة هامة: هي أعلى الرأس.

(٥) الأطراف وكل مفصل.

(٦) كتاب الروح (ص: ٢٥٥).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الشجاعة والجبين غرائز تكون في الرجال، يُقاتل الشجاع عَمَّن لا يعرف، ويفرُّ الجبان من أمِّه ^(١).
فإذا وافقت ضربة السيف بسيف آخر أو درع ونحوه ضَعْف التأثير، كذلك ضعف تأثير الرقية على المرضى المصابين ببعض الأمراض المستعصية سواء أكانت عضوية أو نفسية.

فمتى أدركنا معنى هذه المقولة جيداً حينها ندرك قوة تأثير الرقية في شفاء بعض الأمراض بإذن الله تعالى وضعف تأثيرها على البعض الآخر.
كما أن علينا أن نوقن بأن الله تعالى غالب على أمره ونؤمن بأن الله سبحانه هو الذي قدَّر هذه الأمراض، وهو سبحانه قادر على دفعها ورفعها.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ^(٢).

قال البغوي رحمته الله في تفسيره قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ (يعني: قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: الأمراض وفقد الأولاد، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، يعني: اللوح المحفوظ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: من قبل أن نبرأ المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النِّسَمَة ^(٣). وقال ابن عباس رضي الله عنهما في موضع آخر:

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٢).

(٢) سورة الحديد: (آية ٢٢)

(٣) تفسير البغوي: ط ٢، عام ١٤٣٥ هـ، بيروت، دار ابن حزم (ص ١٢٧٩).

(كل شيء بقدر؛ حتى وضعك يدك على خدك) ^(١).

وقال عبد المؤمن بن عبد الله رحمته: كُنَّا عند الحسن البصري رحمته، فجاءه بريد بن أبي مريم السلوي يتوكأ على عصا، فقال يا أبا سعيد: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ^(٢). فقال الحسن: نعم والله، إن الله ليقضي القضية في السماء، ثم يضرب لها أجلاً أنه كائن في يوم كذا أو كذا، في الخاصة والعامة، حتى إن الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها إلا بقضاء وقدر. قال: يا أبا سعيد، والله لقد أخذتها وإني عنها لغني، ثم لا صبر لي عنها. قال الحسن: أفلا ترى ^(٣).

وكذلك التسليم بما جاء في محكم التنزيل والرضى بما قسم الله للعبد كما جاء عن أبي بكر رضي الله عنه يوم أن مرض (فقالوا ألا ندعوا الطبيب؟ فقال: قد رأيته فقال إني فعّال لما أريد) ^(٤).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ^(٥).

قال ابن مفلح رحمته: «لولا المصائب لبطر العبد، وبغى وطغى، فيحميه بها من ذلك ويطهره مما فيه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه» ^(٦).

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/٣١٨).

(٢) سورة الحديد: (آية ٢٢)

(٣) شفاء العليل (١/٢٢).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/١٤٨).

(٥) سورة العلق: (آية ٦)

(٦) الآداب الشرعية، ابن مفلح (٢/١٩١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ »^(١).

وفي هذا النص النبوي الكريم بشرى عاجلة وأجلة لكل مؤمن ومؤمنة مبتلى، وفيه حثٌّ على الصبر والاحتساب مع فعل الأسباب المشروعة. قال ابن القيم رحمته الله: «ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو أنقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة. ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه»^(٢).

وما أجمل ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

وكم لله من لطف خفي	يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر	ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحاً	وتأتبك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً	فثق بالواحد الفرد العلي
ولا تجزع إذا ما ناب خطب	فكم لله من لطف خفي ^(٣)

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: كفارة المريض، رقم (٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ١٨٥).

(٢) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢/ ٩٣٥).

(٣) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص (١٦٠).

الوقفة الثالثة: حول العزائم أو كتابة الآيات

سُئِلَ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله: هل يجوز أن يُكتب للمريض بعض آيات قرآنية في إناء يغسله ثم يشربه؟

فأجاب: لا يظهر في جواز ذلك بأس، وقد ذكر ابن القيم رحمته الله أن جماعة من السلف رأوا أن يُكتب للمريض الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يُكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة، ويُذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمر أن يُكتب لامرأة تعسرت عليها ولادتها أثر من القرآن ثم يُغسل وتُسقى، وبالله التوفيق ^(١).

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمته الله.

س ٢: إذا طلب رجل به ألم رقى، وكتب له بعض آيات قرآنية، وقال الراقي: ضعها في ماء واشربها فهل يجوز أم لا؟

ج ٢: سبق أن صدر من دار الإفتاء جواب عن سؤال مماثل لهذا السؤال هذا نصه: كتابة شيء من القرآن في جام أو ورقة وغسله وشربه يجوز؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢) فالقرآن شفاء للقلوب والأبدان، ولما رواه الحاكم في [المستدرک] وابن ماجه في [السنن] عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بالشفاءين العسل والقرآن» وما رواه ابن ماجه، عن علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الدواء القرآن» وروى ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا عسر

(١) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١/ ٩٤).

(٢) سورة الإسراء (الآية: ٨٢).

على المرأة ولادتها خذ إناء نظيفا فكتب عليه ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾^(١)، و﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾^(٢)، و﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣)، ثم يغسله وتسقى المرأة منه وتنضح على بطنها وفي وجهها).

وقال ابن القيم في [زاد المعاد] (ج ٣ ص ٣٨١): (قال الخلال: حدثني عبد الله بن أحمد قال: رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض أو شيء نظيف يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾^(٤)، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾^(٥) قال الخلال: (أنبأنا أبو بكر المروذي، أن أبا عبد الله^(٦) جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، تكتب لامرأة عسرت عليها ولادتها منذ يومين، فقال: قل له: يجيء بجام واسع وزعفران، ورأيتك يكتب لغير واحد)، وقال ابن القيم أيضا: (ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة). انتهى كلام ابن القيم.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم^(٧).

(١) سورة الأحقاف، (الآية: ٣٥).

(٢) سورة النازعات، (الآية: ٤٦).

(٣) سورة يوسف، (الآية: ١١١).

(٤) سورة الأحقاف، (الآية: ٣٥).

(٥) سورة النازعات، (الآية: ٤٦).

(٦) يعني بذلك الإمام أحمد رحمته الله.

(٧) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٤١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أما كون القرآن يُكتب في إناء ويُصب عليه الماء ثم يُروَّج ويشربه الإنسان فهذا فعله السلف رحمهم الله، يكتبون في إناء للزعفران آية الكرسي، المعوذات، وشيء من القرآن ثم يُصب عليه الماء ويروَّج هكذا باليد، أو بتحريك الإناء، ثم يشربه الإنسان، فهذا فعله السلف، وهو مجرب عند الناس، ونافع بإذن الله، والله أعلم ^(١).

وقال رحمه الله في موضع آخر: «القرآن شفاء حتى للأمراض الحسيّة كما في هذا المثال، وكما جرب أن يكتب على الحزا - قروح وبثرات تظهر في القدم أو في اليد، أو في الذراع - يكتب عليها ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ^(٢)، إذا كتبت هذه الآية عليها مرة أو مرتين زالت بإذن الله نهائياً» ^(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله عن كتاب الحزاز ^(٤): يكتب عليها: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ^(٥) بحول الله وقوته.

كتاب لوجع الضرس: يكتب على الخد الذي يلي الوجع: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ^(٦).

كتاب للخراج: يكتب عليه: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ

(١) اللقاء الشهري (٣/ ٤٨٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٦٦).

(٣) اللقاء الشهري (ص ٣٢).

(٤) الحزاز: القشرة التي في الرأس كالنخالة.

(٥) سورة البقرة (٢٦٦).

(٦) سورة الأنعام (١٣).

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٣٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿٣٧﴾

«كتاب للرَّعَاف: كان شيخنا^(٣) يكتب على جبهة من يكثر رعافه، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأْ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾^(٤)، وسمعتة يقول: كتبتها لغير واحد فبرأ»^(٥).

وقد عملت بهذا الأثر لامرأة حينما اشتكت من نزيف على أثر لحمية في الرحم وقد قررت لها الطيبة إجراء عملية جراحية لاستئصاله، فوضعت شيئاً من الزعفران في كوب ماء وكتبت من ماء الزعفران على ورقة هذه الآية التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، وأوصيتها بعد ذلك بغمسها في كوب ماء مع الشرب، وأوصيتها كذلك بالقيام بنفسها على هذا الأثر قدر الحاجة، وبعد فترة يسيرة راجعت الطيبة وأجرت لها أشعة وتبين لها بأن وضعها طبعي وذهب عنها ما تجدد، والله الحمد والمنة. وعليه، فالذي يظهر لي - والله أعلم - بأن عمل هذا الأثر لا يتوقف نفعه على عمل الراقي فحسب، بل يستطيع كل مستفيد أن يعمل بهذا الأثر أو غيره، ولكن بحسب العلة، كما ذكر السلف رحمهم الله. والعمل بهذا الأثر لا يعني ترك الأسباب الطيبة، فربما يتضافر هذا وهذا، كما قال الشيخ عبدالكريم الخضير^(٦).

(١) سورة طه (١٠٥ - ١٠٧).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٥٢٩ - ٥٣١)، باختلاف الطبقات.

(٣) يعني بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله.

(٤) سورة هود، (آية: ٤٤).

(٥) زاد المعاد (٤/ ٣٢٨) باختلاف الطبقات (٤/ ٥١).

(٦) انظر (ص ١٧).

الوقف الأول: حول الحكم الشرعي للجلوس في المقرأة^(١).

هذه فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢٠٥١٥) إجابة عن السؤال التالي^(٢):

س: سمعنا ممن ينسب إلى العلم أن وضع وقت محدد ومكان محدد للقراءة بدعة لا تجوز، فما صحة هذا القول؟ حيث إن كثيراً ممن يقوم برقية الناس يضع مكاناً غير بيته، يقرأ فيه على الناس في ساعة محددة، حتى لا يتأذى في منزله من أولئك الذين لا يقدرُونَ أوقات الآخرين.

ج: لا حرج على الراقي أن يجعل وقتاً معيناً أو مكاناً معيناً يقرأ فيه على الناس، وهذا فيه مصلحة ظاهرة له^(٣) ولغيره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
الواجب علينا في مثل هذه النوازل والمسائل العلمية الأخذ بكلام أهل
الفتوى. والله أعلم.

(١) والمقرأة هي عبارة عن مكان مهياً لقراءة القرآن في المساجد أو دور تعليم القرآن والمراد بها هنا تخصيص مكان للرقية ويقوم عليها أحد الرقاة.

(٢) المجموعة الثانية، المجلد الأول، ط ١، (ص ٩٤).

(٣) سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله ما يلي: رجل يقرأ على المرضى بالقرآن، والأدعية النبوية وقبل القراءة يحدد المال الذي سيأخذه من المريض، فما رأي سماحتكم في هذا؟.

الجواب: لا بأس بذلك إذا كان يقرأ ما تيسر من القرآن، ويدعو لهم بالدعوات، وينفث على المريض، لا بأس أن يحدد الأجر الذي له. كما وقع لبعض الصحابة مع لديغ، وكانوا نزلوا بهم، ولم يضيفوهم، فجاءوا إليهم يطلبون من يرقى ليرقوا هذا المريض، فقالوا: إلا أن تضربوا لنا سهماً، فضربوا لهم شيئاً قطيعاً من الغنم، فرقوه حتى عافاه الله، وسلموا لهم نفس الأجرة، وبلغوا النبي ﷺ فأقرهم على ذلك. فتاوى الجامع الكبير موقع الشيخ عبدالعزيز بن باز.

الوقفه الخامسة: حول أثر الدعاء والأذكار

إن شأن الدعاء شأنٌ عظيم، وهو أعظم سلاح للمؤمن بتوفيق الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَهُؤُا بِكَ رَبِّي لَا تَوَلَّوْا دُعَاؤَكُمْ﴾^(١).

فهنيئاً لمن وفقه الله إلى كثرة الدعاء فقد أثنى الله - ﷻ - على إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في (الأواه) وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود رواه عنه زر بن حبیش: إنه الدعاء^(٣).

عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل النبي ﷺ المسجد ورجلٌ قد صلى وهو يدعو ويقول في دعائه: اللهم لا إله إلا أنت المتأن، بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: أتدرون بَمَ دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»^(٤).

قال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ

(١) سورة الفرقان: (آية ٧٧).

(٢) سورة التوبة: (آية ١١٤).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاکر: (١٤ / ٥٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم ٣٥٤٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

وَالشَّهَادَةُ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ (٢).

وقال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣) جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في المتعلق له، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه (٤).

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وقد جُرب أنه من قال: أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ سبع مرات كشف الله ضره» (٥).

كما أن الدعاء قرين السعادة كما وصف الله تعالى دعاء زكريا عليه السلام ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٦). أي: ولم أعهد فيك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك (٧). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قربا عاما من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من

(١) سورة الزمر، الآية: (٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٢٦٥).

(٣) سورة الأنبياء: (آية ٨٣).

(٤) الفوائد (ص ٢٠١).

(٥) الفوائد (ص ٢٩٢).

(٦) سورة مريم: (آية ٤).

(٧) تفسير ابن كثير: (ص ٢١٢).

(٨) سورة البقرة: (آية ١٨٦).

عابديه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

قال ابن عقيل رحمه الله: «ومن اشتدت فاقته فدعا، أو اشتد خوفه فبكى، فذلك الوقت الذي ينبغي أن يدعو فيه فإنه ساعة إجابة وساعة صدق في الطلب وما دعا صادق إلا أجيب»^(٣).

وقال ابن رجب رحمه الله: «المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك؟ ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات»^(٤).

وفي مستدرك الحاكم من حديث سعد عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا، دعا به ففرج الله عنه، ف قيل له: بلى، فقال: دعاء ذى النون»^(٥) ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦).

ومن أوقات إجابة الدعاء كما أخبرنا النبي ﷺ: عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود، وفي أدبار الصلوات المكتوبات، وساعة في جوف الليل الآخر، ودعوة الصائم حين يفطر، ودعوة المسافر، وآخر ساعة من عصر يوم

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٧).

(٢) سورة النمل: (آية ٦٢).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي (٢/٢٨٢).

(٤) تفسير ابن رجب (٢/٥٩٥).

(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٦٠٥).

(٦) سورة الأنبياء: (آية ٨٧).

الجمعة، وعند شرب ماء زمزم، ودعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، ودعوة المضطر، ودعوة الولد الصالح لوالديه بعد الممات ويوم عرفة وعند نزول الغيث. وقال يحيى بن معاذ رحمته الله: «من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يرده»^(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم، ومطرودة للداء عن الجسد»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رأى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير من خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء»^(٣).

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان جُنْح الليل - أو أمسيتم - فكفُّوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»^(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٦٣).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٤٩)، وحسنه الألباني رحمته الله في إرواء الغليل وقال: الحديث حسن دون الزيادة، ومطرودة للداء عن الجسد (٢/٢٠٢).

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٤٣٢)، وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب (٣٣٩٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٦٢٣)، وصحيح مسلم برقم (٢٠١٢) واللفظ له.

(٥) صحيح مسلم برقم: (٧٨٠) (١/٥٣٩).

الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم أني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وعماد الدين، وله مع البلاء ثلاثة مقامات: أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه. والثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً. والثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»^(٢).

وكان النبي ﷺ يتعوذ من سيء الأسقام، فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ من البرص والجنون والجذام، ومن سيء الأسقام»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة»^(٤).

(١) رواه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٥٧/٣) برقم (٤٢٣٩).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص ٩ - ١٠)، لابن القيم رحمه الله.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٣٠٠٤) (٣٠٩/٢٠)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٣٨٥١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم (٣١٠٦).

الوقفه السادسة: حول الهم والحزن

عندما اطلعت على بعض كتب الطب النفسي وتأملت أعراض الاكتئاب وجدت أنها تنحصر في هذه الاستعاذه النبوية، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: **دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجلٍ من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة؟» فقال: همومٌ لزممتني، وديونٌ يا رسول الله، فقال: «ألا أعلمك كلامًا إذا أنت قلتَه أذهب الله ﷻ همك وقضى دينك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله ﷻ همي، وقضى عني ديني^(١).**

قال ابن القيم رحمه الله: (فالهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما: أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن: هو التألم على حصول المكروه في الماضي، أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح، فإن تعلّق بالماضي سميّ حزنًا، وإن تعلّق بالمستقبل سميّ همًا. والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنها يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته. فتتألم الروح لفواته بحسب تعلّقها به، والتذاذها بإدراكه لو حصل. والجبن^(٢) والبخل^(٣) قرينان، لأنها عدم النفع بالمال والبدن.

(١) سنن أبي داود: (٩٣ / ٢) برقم (١٥٥٥)، والبيهقي في سننه برقم (١٧٩)، أما لفظ الدعاء فقد أخرجه البخاري (٦٠٠٢)، ضمن حديث طويل.

(٢) ذكرت قصة حول أثر الخوف في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور

شرعي (ص ٢٧٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذان داءان عظيمان، الجبن والبخل، قال النبي ﷺ: (شر ما في المرء شحّ هالع وجبن خالع) رواه أبو داود برقم (٢٥١١)، مجموع الفتاوى (٣٣٧ / ٢٨)، للمزيد

وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة، لا تنال إلا بالبذل والشجاعة، والبخل يحول بينه وبينها، فهذان الخلقان من أعظم أسباب الآلام.

وضلع الدين، وقهر الرجال: قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها. أحدهما: قهر بحق، وهو ضلع الدين، والثاني: قهر بباطل، وهو غلبة الرجال. وأيضا: فضلع الدين، قهر بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال قهر بغير اختياره.

ومن ذلك تعوده ﷺ: «**من المائم والمغرم**» فإنهما يسببان الألم العاجل^(١). فهذا الدعاء يرفع هذه الآلام عن النفس ويدفعها بإذن الله، والهـم سوء ظن بالله سبحانه وتعالى الذي بيده كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَنَنْتَظِرَنَّكَ مِنَ الْسُّورَةِ﴾^(٢)، وسوء الظن بالله من ميراث الجاهلية الأولى.

قال تعالى: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٣). سئل الشافعي رحمه الله تعالى: كيف يكون سوء الظن بالله؟ قال: «الوسوسة، والخوف الدائم من وقوع مصيبة، وترقب زوال النعمة، كلها من سوء الظن بالرحمن الرحيم»^(٤).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «إن أقوماً ألهتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ

انظر كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٦٧).

(١) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٥٢٥).

(٢) سورة الفتح (آية ١٢).

(٣) سورة آل عمران (آية ١٥٤).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٢٣).

بِرَبِّكُمْ أَرَدْنَكُمْ فَاصْبِرُوا مِنْ الْخَسِرِينَ ﴿١﴾» (٢).

وقال مالك بن دينار: «بقدر ما تحزن للعالم فكذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك» (٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: فإن من عرف الله أحبه ولا بد، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات، وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب، فإنه لا حزن مع الله أبداً. ولهذا قال تعالى حكاية عن نبيه ﷺ أنه قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٤)، فدل على أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه فما له وللحزن؟ وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فبأي شيء يفرح؟، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (٥) (٦).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «ما رأيت شيئاً أذهب للهم مثل تلاوة القرآن بتدبر، فإن القلب يحيا به حياة لا تشبهها حياة أخرى» (٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما رأيت شيئاً يغذي العقل والروح ويحفظ الجسم ويضمن السعادة، أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى».

وقال رحمه الله في موضع آخر: «لم يأمر الله بالحزن ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلّق بأمر الدين، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ﴾، وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وذلك لأنه لا

(١) سورة فصلت، الآية: (٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣٥٣ / ١٥).

(٣) الزهد، لابن أبي الدنيا (ص ٧٤).

(٤) سورة التوبة (الآية: ٤٠).

(٥) سورة يونس (الآية: ٥٨).

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢ / ٦١٠).

(٧) صيد الخاطر (ص ١٤٣).

يجلب منفعة ولا يدفع مضرة؛ فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به^(١).
وقال الحسن البصري رحمه الله: «لا تحملنَّ على يومك همَّ غدك، فحسب كل يوم همُّه»^(٢).

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله: «المرض سجن البدن، والهمَّ سجن الروح»^(٣).
وقال ابن القيم رحمه الله: «إنما تحصل الهموم والغموم والأحزان من جهتين: إحداها الرغبة في الدنيا والحرص عليها، والثاني: التقصير في أعمال البر والطاعة»^(٤). وقال أيضاً: «ما مضى لا يُدفع بالحزن»^(٥)، بل بالرضى والحمد والصبر والإيمان بالقدر وقول العبد: قدَّر الله وما شاء فعل»^(٦).
وقال ابن حبان رحمه الله: (لا يجب للعاقل أن يغتمَّ؛ لأن الغمَّ لا ينفع، وكثرته تُزري بالعقل)^(٧).

وما أجمل ما أوصى به الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «فاجعل نفسك دائماً في تفاؤل، والذي يريده الله سيكون، وكن مسروراً فرحاً، واسع الصدر، فالدنيا أمامك واسعة، والطريق مفتوح، فهذا هو الخير، أما التشاؤم والانقباض وأن يجعل الإنسان باله في كل شيء فإنها ستضيق عليه الدنيا»^(٨).

(١) مجموع الفتاوى (٤٩٣/٧)، (١٦/١٠).

(٢) أدب الدنيا والدين، (ص ٢٨٩).

(٣) الوافي بالوفيات (٢٤١/١٧).

(٤) عدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص ٣٩٤).

(٥) قلت: وكذلك قول أبو الطيب المتنبّي

لا تلقِ دهرَكَ إلا غيرَ مُكترَث ما دام يصحبُ فيه روحَكَ البدن

فما يُديمُ سُروراً ما سُررتَ به ولا يرد عليك الفأنتَ الحزنُ

الصبح المنبي عن حيشة المتنبّي (٣٨٤/٢).

(٦) زاد المعاد (٤٢٧/٢).

(٧) روضة العقلاء (ص ٣٨).

(٨) شرح رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (٧٤/٣).

الوقف السابعة : حول الرؤى والأحلام

كثُر المعبرون في الآونة الأخيرة وذلك عبر أجهزة التواصل الاجتماعي ونحوها، وجزمهم بأن من رأى كذا وكذا في المنام فهو مصاب بالسحر، أو بتلبس الجن، أو بالعين فقد يتعلّق الرائي المسكين بما وصفوا، فيعتريه الحزن الشديد والقلق^(١) إلى أن يتمكن منه الوهم، فحينئذ يطلب الرقية وفي أثناء القراءة عليه لا يظهر شيء والله أعلم مما ذكر هؤلاء المتصدرون لتأويل الرؤى، والله المستعان.

ولو سلّمنا بصحة تأويل ما وصف هؤلاء المرجفون لما سلم منا أحد ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكيف يخطئ ويصيب في التأويل صديق الأمة ﷺ، وهو أعلم وأفضل معبر بعد الأنبياء وهؤلاء لا يخطئون؟!.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، كان يحدث: «أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكفون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل. فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي ﷺ: «اعبرها» قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به، ثم يوصل

(١) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٨٦).

له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله، بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت، قال: «لا تقسم»^(١).

ومما لا شك فيه أن الرؤى لها شأن، والأصل فيها البشارة كما قال تعالى:

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢).

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «أما البشارة في الدنيا فهي الثناء الحسن، ومودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق، وأما في الآخرة فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٣)»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فرؤيا صالحة من الله، ورؤيا تُحزن من الشيطان، ورؤيا يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فيصلي، ولا يحدث بها الناس»^(٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب: من لم ير الرؤية لأول عابر إذا لم يصب برقم (٧٠٤٦) (٤٣/٩).

(٢) سورة يونس الآية: (٦٤).

(٣) سورة فصلت الآية: (٢٠).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص (٣٦٨).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، رقم (٢٢٦٣)، (٤/١٧٧٣).

وهي من المبشرات للمؤمن كما جاء ذلك في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تسمُّوا باسمي ولا تكنُّوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢).

وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»^(٣).

كما ينبغي للمؤمن ألا يلتفت إلى الأحلام المزعجة فإنها من الشيطان كما جاء من حديث قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة - وفي رواية - الرؤيا الحسنة - من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينبث عن شأله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره»^(٤).

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله معلقاً على الحديث: «وبعض الناس إذا رأى شيئاً يكرهه ذهب يتلمس من يفسر له هذه الرؤيا، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الرؤيا يكرهونها، فلما حدثهم النبي ﷺ

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة رقم (٤٧٩)، (٣٤٨/١).

(٢) صحيح البخاري، العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ رقم (١١٠)، (٣٣/١).

(٣) صحيح البخاري، رقم (٦٩٨٥)، (٣٠/٩).

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله رقم (٦٩٨٤)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم (٢٢٦١).

بهذا الحديث استراحوا؛ فصار الإنسان إذا رأى الرؤيا التي يكرهها بصق عن يساره ثلاث مرات، واستعاذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ولم يحدث بها أحداً، ثم لا تضره وكأنها ما صارت»^(١).

ومن الفوائد والعبر التي ذكرها الشيخ السعدي رحمه الله في قصة يوسف عليه السلام: «أن فيها أصلاً لتعبير الرؤيا، وأن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده، وإن أغلب ما تبني عليه المناسبة والمشابهة في الاسم والصفة، فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس والقمر، وأحد عشر كوكبا له ساجدين، وجه المناسبة فيها: أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها، وبها منافعها، فكذلك الأنبياء والعلماء، زينة للأرض وجمال، وبهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار، ولأن الأصل أبوه وأمه، وإخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا وجرما، لما هو فرع عنه. فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.

ومن المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه، والقمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته. ومن المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له، والمسجود [له] معظم محترم، فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظماً محترماً عند أبويه وإخوته.

ومن لازم ذلك أن يكون مجتنبى مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لذلك، ولذلك قال له أبوه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٢) (٣).

(١) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣٧٦/٤.

(٢) تفسير الكريم الرحمن للسعدي (١/٤٠٧).

(٣) سورة يوسف، الآية (٦).

وتأويل الرؤى فتوى كما قال تعالى على لسان ملك مصر: ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ
إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١).

(قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام».

وللرؤيا ملك موكل بها، يريها العبد في أمثال تناسبه وتشاكله، فيضربها لكل أحد بحسبه.

وقال مالك رضي الله عنه: «الرؤيا من الوحي وحي، وزجر عن تفسيرها بلا علم، وقال: أتتلاعب بوحى الله؟»^(٢).

ومما جاء في الأثر عن تأويل الرؤى، قال ابن القيم رحمته الله بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

«ومن هاهنا عبّر بعض المعبرين لرجل قال له: رأيت كأن وجهي أسود، فقال له: ألك امرأة حامل؟ قال نعم، قال: تلد لك أنثى»^(٣).

وجاء رجل إلى ابن سيرين رحمته الله فقال: قد خطبت امرأة وقد رأيتها في المنام سوداء قصيرة، فقال ابن سيرين: اذهب فتزوجها، فإن سوادها مالها، وقصرها قصر عمرها، فتزوجها الرجل، وماتت، فورث منها مالاً عظيماً، فالسواد في المنام سؤدد ومال^(٤).

ورأى رجل من الأغنياء في منامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إن أردت العافية

(١) سورة يوسف، الآية (٤٣).

(٢) التفسير القيم لابن القيم ص (٥٦).

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص (٤١٧).

(٤) المعلم على حروف المعجم في تعبير الأحلام، لأبي طاهر إبراهيم بن يحيى بن غنّام المقدسي الحنبلي، ص (٤١٥).

من مرضك^(١) فخذ لا ولا، فلما استقيظ من منامه بعث إلى سفيان الثوري رحمته الله عشرة آلاف درهم وقال: أنفق هذه على الفقراء، وأخبرني عن تأويل رؤيائي، فأنفذ إليه سفيان الثوري يقول له: إنما كان قول الله ﷻ: ﴿شَجَرَةٌ مُّبْرَكَةٌ زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾^{(٢)(٣)}.

ورأى بعض الخلفاء كأن أسنانه سقطت جميعاً فقصّها على معبرٍ، فقال: يموت أهلك كلهم، فغضب لذلك، وأنفذ إلى معبرٍ له كان مريضاً، فحُمِلَ إليه، وقصّ عليه الرؤيا، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أطول أهلك عمراً، ففرح بذلك، لأنه أحسن العبارة، وذكر الحياة، ولم يذكر الموت، والمعنى واحد^(٤).

ورأت كذلك صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنه قبل إسلامها كأن قمرأ أقبل من المدينة سقط في حجرها، فقصّت رؤياها على زوجها فلطمها على وجهها وطلقها، وقال: لعلك طمعت في هذا الصادق الأمين أنك تتزوجينه - يعني رسول الله ﷺ -، فصدقت رؤياها وصارت زوجة للنبي ﷺ^(٥).

(١) قال ابن القيم رحمته الله: «قال بعض الناس: إن أصل الطب من المنامات، ولا ريب أن كثيراً من أصوله مستنداً إلى الرؤيا كما أن بعضها عن التجارب، وبعضها عن القياس، وبعضها عن الإلهام»، كتاب الروح (٢/٥٥٦). قلت: ربما يكون هذا الأثر حجة عند بعض الرقاة على علاقة الرؤى بالرقية! وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل، فكلام ابن القيم رحمته الله مقصور على علاقة الرؤى بالطب، والله أعلم.

(٢) سورة النور، الآية: (٣٥).

(٣) المعلم على حروف المعجم في تعبیر الأحلام، ص (٣٥٢، ٣٥٣)، قلت: أوّل سفيان الثوري رحمته الله الرؤيا بأن دواء الراقي هو زيت الزيتون، والله أعلم.

(٤) المرجع السابق، ص (٤٢٣).

(٥) المرجع السابق ص (٥٩٦).

وقفات حول الطب النبوي

علم الطب من أجل العلوم نفعاً، وأعظمها وقعاً، وقد عني الإسلام بالطب غاية العناية، والطب من ميراث النبوة، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «يقول ناس: إن أصل الطب مأخوذ من بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»^(١).

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء، فتداؤوا ولا تداؤوا بحرام**»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله ﻋﻠﻴﻪ**»^(٣).

قال ابن حجر رحمته الله: «فيه الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع بل ربما أحدث داء آخر، وأن الدواء قد ينقلب داء»^(٤)، وقد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع، والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٨١).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٧٤)، قال الشيخ الألباني رحمته الله: الحديث صحيح من حيث معناه لشواهده، انتهى. من التعليقات الرضية على الروضة الندية (٣/ ١٥٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٢٠٤)، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء، واستحباب التداوي، رقم: (٢٢٠٤)، (٤/ ١٧٢٩).

(٤) قلت: ولهذا نجد أن بعض الأطباء خصوصاً أطباء الأورام ينصحون مرضاهم من التداخلات العلاجية، ويحذرونهم من التداوي ببعض الأعشاب التي تتعارض مع الأدوية الكيميائية، والله أعلم.

فرب مرضين تشابهها^(١) ويكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا^(٢)»^(٣).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «العلم علمان: فقه الأديان وعلم الأبدان»^(٤).

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه^(٥).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: قال بعض السلف رحمهم الله: «جمع الله الطب كله في نصف آية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾»^(٦)^(٧).

(١) قلت: ربما اختلف أحد المريضين عن الآخر في قبول طبيعته للدواء، كما قال ابن القيم رحمه الله، انظر: (ص: ٣١)، وكما قال رحمه الله كذلك في موضع آخر في وصف الطبيب الخاذق: أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره، ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عند تعذر الدواء البسيط فمن حذق الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية، وبالأدوية البسيطة بدل المركبة، زاد المعاد (٤/ ٢٠٦).

(٢) قلت: الدواء البسيط: هو عبارة عن مادة واحدة كالعسل، وأما الدواء المركب: ما زاد عن مادة أو أكثر، كالعسل، والحبة السوداء... فكلما اعتاد البدن على أصناف قليلة من الغذاء، كان للدواء البسيط أثر في علاج البدن، وكلما تعود البدن على أصناف كثيرة من الغذاء، كان للدواء المركب أثر في علاج البدن أكثر من الدواء البسيط، كما قال ابن القيم رحمه الله: «أن الأدوية من جنس الأغذية، فالأمة والطائفة التي غالب أغذيتها المفردات أعراضها قليلة جداً، وطبها بالمفردات وأهل المدن الذين غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة، فالأدوية المركبة أنفع لها، وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة، فيكفي فيه مداواتها الأدوية المفردة، فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية» زاد المعاد (٤/ ١٠).

(٣) فتح الباري (١٠/ ١٣٥) بتصرف.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ١١٤).

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٧).

(٦) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٤٠٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والله قد أباح للمؤمنين الطيبات فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لها عندهم كبير لذّة مع أنهم قد لا يصبرون عنها وتكثر أمراضهم بسببها^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما يتنفع به البدن في الكميّة والكيفيّة، فمتى جاوز ذلك كان إسرافاً، وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض، أعني عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيه، فحفظ الصحة كلّها في هاتين الكلمتين الإلهيتين»^(٢).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: «فإن السّرّف ييغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشتة»^(٣).

وقال البيضاوي رحمه الله: «فإن من ملأ بطنه انتكست بصيرته وتشوّشت فكرته، لِمَا يستولي على معادن إدراكه من الأبخرة الكثيرة الصاعدة من معدته إلى دماغه، فلا يأتي له نظر صحيح، ولا يتفق له رأي صالح، ولعله يقع في مداحض فيزيغ عن الحق، وغلب عليه الكسل والنعاس، فيمنعه عن وظائف العبادات، وقويت قوى بدنه وكثرت المواد والفضول فيه، فينبعث غضبه وشهوته، ويشتد شبقه لدفع ما زاد على ما يحتاج إليه بدنه فتوقعه بسبب ذلك في المحارم»^(٤).

(١) جامع الرسائل لابن تيمية الجزء الثاني (ص ٣٤٠).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٩٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٢٧٦).

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (١/ ٦٨).

وقال الإمام القرطبي رحمته الله: «قال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بياناً شافياً يغني عن كلام الأطباء فقال: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنٍ بحسب ابن آدم لقياتٍ يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه)»^(١)، خرجه الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب.

وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث قال: «لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت»^(٢) المارستانات^(٣) ودكاكين الصيدلة، وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم»^(٤). وقال ابن قدامة رحمته الله: «من مداخل الشيطان وأبوابه العظيمة: الشبع، فإنه يقوّي الشهوة، ويشغل الطاعة»^(٥).

وقال الشافعي رحمته الله: «ما شبع منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطحرتها، يعني فطحرتها، لأن الشبع يثقل البدن، ويضعف صاحبه عن العبادة»^(٦).

(١) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم (٢٣٨٠)، (٤/٥٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٥٦٧٤)، (٢/٩٩٠).

(٢) بالطبع هذا من صيغة المبالغة والإعجاب بهذا الحديث، وإلا فمكانة الطب مشروعة في الإسلام كما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعَلِّمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ». رواه أبو داود برقم (٤٥٧٨)، وأخرجه النسائي برقم (٧٠٠٥) واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٥٣)، (٢/١٠٥٩).

(٣) كلمة فارسية تعني المستشفيات.

(٤) جامع العلوم والأحكام (٢/٤٦٨).

(٥) مختصر مناهج القاصدين (ص: ١٤٩).

(٦) آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٧٨).

وقال ابن القيم رحمه الله: «الأمراض نوعان: أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية، وهي الأمراض الأكثرية وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ آدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك أورثته أمراضاً متنوعة، منها بطيء الزوال وسريعه، فإذا توسَّط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميَّته وكيفيَّته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير، ومراتب الغذاء ثلاثة:

أحدها: مرتبة الحاجة. والثانية: مرتبة الكفاية. والثالثة: مرتبة الفضلة. فأخبر النبي ﷺ: أنه يكفيه لقيمات يقمن صُلبه، فلا تسقط قوته، ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر للساء، والثالث للنفس، وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض له الكرب والتعب بحمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع. فامتلاء البطن من الطعام مضر للقلب والبدن»^(١).

وقال المروزي رحمه الله: «جعل أبو عبدالله - يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - : يعظم الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٦).

وكيف لا يؤجر وابن عمر يقول: ما شبت منذ أربعة أشهر^(١).
وهنا وقفات عدة حول التداوي بما جاء من القرآن والسنة النبوية، منها:
الوقفه الأولى: حول العسل^(٢): أشار القرآن الكريم إلى التداوي
والعلاج بالعسل، فقال سبحانه وتعالى في وصف النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ
بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

وروى أبو سعيد الخدري: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي
بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة،
فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: صدق الله، وكذب بطن
أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبرأ^(٤).

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء
لما في الصدور)^(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله: والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ
التي في العروق والأمعاء وغيرها، محلل للطبوبات أكلاً وطلاءً، نافع
للمشايع وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه بارداً رطباً وهو مغذٍ ملينٌ
للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين، ولما استودع فيه، مذهب لكيفيات الأدوية
الكريهة، منقٍ للكبد والصدر، مدرٌ للبول، موافق للسعال الكائن عن

(١) جامع العلوم والحكم ص (٥٠٤ - ٥٠٦).

(٢) يزداد نفعه بإذن الله حينما يُقرأ عليه مع النفث.

(٣) سورة النحل: (٦٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم (٥٦٨٤)، (١٢٣/٧).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٦٤٢، ٣٠٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٩١٠).

البلغم، وإذا شُرب حارًّا بدهن الورد نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون، وإن شُرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضه الكلب الكلب، وأكل الفطر^(١) القتال، وإذا جُعل في اللحم الطري، حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جُعل في القثاء، والخيار، والقرع، والباذنجان، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويسمى الحافظ الأمين، وإذا لُطخ به البدن المُقمل والشعر قتل قمله وصئبانه، وطوّل الشعر، وحسّنه ونعّمه، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر، وإن استن به بيّض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويدّر الطّمث، ولعقه على الريق يذهب البلغم، ويغسل حُمّل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويستخنها تسخيناً معتدلاً، ويفتح سُددها، ويفعل ذلك بالكبد والكلّى والمثانة، وهو أقل ضرراً لسدد الكبد والطحال من كل حلو^(٢).

الوقف الثانية: حول الحبة السوداء: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام**»^(٣)، قال ابن شهاب: والسام: الموت، والحبة السوداء الشونيز.

قال الخطابي: قوله «من كل داء»، هو من العام الذي يراد به الخاص؛ لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدوية بمقابلتها، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة، وقال أبو بكر بن العربي: العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون

(١) الفطر بضمّتين: نوع من الكمأة قتال.

(٢) زاد المعاد (٤/ ٣١ - ٣٢).

(٣) صحيح البخاري كتاب الطب، باب الحبة السوداء برقم (٥٦٨٨) (٧/ ١٢٤).

دواء من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العمل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الأكثر الأغلب، فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى.

وقال غيره: كان النبي ﷺ يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد، فيكون معنى قوله: (شفاء من كل داء) أي من هذا الجنس الذي وقع القول فيه، والتخصيص بالحيشة كثير شائع، والله أعلم.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «تكلم الناس في هذا الحديث وخصوا عمومهم وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خفاء بغلط قائل ذلك لنا إذا صدقنا أهل الطب - ومدار علمهم غالباً إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظن غالب - فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم»^(١).

الوقفه الثالثة: حول القسط الهندي: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أم قيس بنت محسن، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: "عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية: يستعط به من العُدرة، ويلدُّ به من ذات الجنب" ^(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «وقد ذكر الأطباء من منافع القسط أنه يدر الطَّمث والبول، ويقتل ديدان الأمعاء، ويدفع السُّم وحمى الرَّبع ^(٣) والورد،

(١) فتح الباري (١٠/ ١٤٥).

(٢) صحيح البخاري، باب السعوط بالقسط الهندي والبحري (٧/ ١٢٤).

(٣) هي التي تنوب كل رابع يوم.

ويسخن المعدة، ويحرك شهوة الجماع، ويذهب الكلف طلاءً، فذكروا أكثر من سبعة، وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي، وما زاد عليها بالتجربة.

فاقتصر على ما هو بالوحي لتحقيقه، وقيل: ذكر ما يحتاج إليه دون غيره؛ لأنه لم يبعث بتفاصيل ذلك. قلت: ويحتمل أن تكون السبعة الأصول صفة التداوي بها؛ لأنها إما طلاء، أو شرب، أو تكميد، أو تنطيل، أو تبخير، أو سعو، أو لدود، فالطلاء يدخل في المراهم ويحلى بالزيت ويلطخ، وكذا التكميد، والشرب يسحق ويجعل في عسل أو ماء أو غيرهما، وكذا التنطيل والسعو يسحق في زيت ويقطر في الأنف، وكذا الدهن والتبخير واضح، وتحت كل واحدة من المنافع السبعة لأدواء مختلفة، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلم، وأما العذرة فهي بضم المهملة وسكون المعجمة، وجع في الحلق يعتري الصبيان غالباً، وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق أو في الخرم الذي بين الأنف والحلق. قيل: سميت بذلك لأنها تخرج غالباً عند طلوع العذرة، وهي خمسة كواكب تحت الشعري العبور، ويقال لها أيضاً العذارى، وطلوعها يقع وسط الحر، وقد استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حاراً، والعذرة إنما تعرض في زمن الحر بالصبيان وأمزجتهم حارة، ولا سيما وقطر الحجاز حار، وأجيب بأن مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم، وفي القسط تخفيف للرطوبة، وقد يكون نفعه في هذا الدواء بالخاصية، وأيضاً فالأدوية الحارة قد تنفع في الأمراض الحارة بالعرض كثيراً، بل وبالذات أيضاً، وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة القسط مع الشبّ اليماني وغيره، على أننا لو لم نجد

شيئاً من التوجيهات لكان أمر المعجزة خارجاً عن القواعد الطبية»^(١).

الوقفة الرابعة حول ماء زمزم: روى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(زمزم طعام طعم وشفاء سقم)**^(٢).

كان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء»^(٣).

ومن فوائد شرب ماء زمزم ^(٤) قصة والد ابن الجزري عالم القراءات وكان تاجراً فمكث أربعين سنة لا يولد له، ثم حج فشرب ماء زمزم بنية ولد عالم فولد له هذا العالم^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم^(٦) أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مراراً»^(٧). وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: شربت ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ^(٨).

(١) فتح الباري (١٠/١٤٩).

(٢) المطالب العالية، رقم ١٣١٢، (٧/١٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٥٧٢، (١/٦٦٨).

(٣) مصنف عبد الرزاق (٥/١١) برقم (٥١١٣).

(٤) انظر: قصة المرأة (ص ١٦)، وكذلك قصة ابن القيم رحمته الله (ص ٢١).

(٥) الضوء اللامع لأهل القرن (٩/٢٥٥).

(٦) ولا سيما إذا قرئ عليه مع النفث.

(٧) زاد المعاد (١/٣٦١).

(٨) التمسك بالسنن والتحذير من البدع (١/٦٦).

الوقفه الخامسة: حول التلبينة: عن عائشة، زوج النبي ﷺ: أنها كانت إذا مات الميت من أهلها، فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد فصببت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن**»^(١).

التلين: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه، قال الهروي: سميت تلبينة لشبهها باللبن لياضها ورقتها، وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النيئ، وإذا شئت أن تعرف فضل التلبينة فاعرف فضل ماء الشعير، بل هي ماء الشعير لهم، فإنها حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته، والفرق بينها وبين ماء الشعير أنه يطبخ صحاحاً، والتلبينة تطبخ منه مطحوناً، وهي أنفع منه لخروج خاصية الشعير بالطحن، وقد تقدم أن للعادات تأثيراً في الانتفاع بالأدوية والأغذية، وكانت عادة القوم أن يتخذوا ماء الشعير منه مطحوناً لا صحاحاً، وهو أكثر تغذية وأقوى فعلاً وأعظم جلاءً، وإنما اتخذ أطباء المدن منه صحاحاً ليكون أرق وألطف، فلا يثقل على طبيعة المريض، وهذا بحسب طبائع أهل المدن ورخاوتها، وثقل ماء الشعير المطحون عليها. والمقصود: أن ماء الشعير مطبوخاً صحاحاً ينفذ سريعاً، ويجلو جلاءً ظاهراً ويغذي غذاءً لطيفاً. وإذا شرب حاراً كان جلاؤه أقوى، ونفوذه أسرع وإنماؤه للحرارة الغريزية أكثر، وتلميسه لسطوح المعدة أوفق.

وقوله ﷺ فيها: «**مجمة لفؤاد المريض**» (يروي بوجهين. بفتح الميم والجيم، وبضم الميم وكسر الجيم، والأول: أشهر ومعناه: أنها مريحة له، أي تريحه

(١) رواه البخاري، باب التلبينة، برقم (٥٤١٧) (٧/ ٧٥).

وتسكنه من الإجمام، وهو الراحة. وقوله "تذهب ببعض الحزن" هذا - والله أعلم - لأن الغم والحزن يبردان المزاج، ويضعفان الحرارة الغريزية لميل الروح الحامل لها إلى جهة القلب الذي هو منشؤها، وهذا الحساء يقوي الحرارة الغريزية بزيادته في مادتها، فتزِيل أكثر ما عرض له من الغم والحزن. وقد يقال - وهو أقرب - إنها تذهب ببعض الحزن بخاصية فيها من جنس خواص الأغذية المفرحة، فإن من الأغذية ما يفرح بالخاصية، والله أعلم. وقد يقال: إن قُوَى الحزين تضعف باستيلاء اليُبْس على أعضائه، وعلى معدته خاصة لتقليل الغذاء، وهذا الحساء يرطبها ويقويها ويغذيها، ويفعل مثل ذلك بفؤاد المريض، لكن المريض كثيراً ما يجتمع في معدته خلطٌ مراري، أو بلغمي أو صديدي، وهذا الحساء يجلو ذلك عن المعدة ويسروه، ويجدره ويُمِيعه ويعدّل كَيْفِيَّتَهُ ويكسر سورته، فيريحها ولا سيما لمن عادته الاغتذاء بخبز الشعير، وهي عادة أهل المدينة إذ ذاك، وكان هو غالب قُوَتِهِمْ، وكانت الحِنْطَةُ عزيزةً عندهم. والله أعلم^(١).

الوقفه السادسة: حول السنّا: عن إبراهيم بن أبي عبلة، قال: سمعت عبد الله بن أم حرام، وكان قد صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((عليكم بالسنّا والسنوت، فإن فيهما شفاءً من كل داءٍ إلا السام "قل يا رسول الله! وما السام؟ قال: الموت" ^(٢))).

قال ابن القيم رحمه الله: «هو نبتٌ حجازي أفضله المكّي، وهو دواءٌ شريفٌ مأمون الغائلة، قريبٌ من الاعتدال، حار يابسٌ في الدرجة الأولى، يسهل

(١) زاد المعاد لابن القيم، فصل هديه ﷺ في تغذية المريض بالطب (٤/ ١١٠).

(٢) رواه ابن ماجه برقم (٣٤٥٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (١٧٩٨).

الصفراء والسوداء، ويقوي جرم القلب، وهذه فضيلة شريفة فيه، وخاصيته النفع من الوسواس السوداوي، ومن الشقاق العارض في البدن، ويفتح العضل وينفع من انتشار الشعر، ومن القمل والصداع العتيق، والجرب والبثور، والحكة والصرع، وشرب مائه مطبوخاً أصلح من شربه مدقوقاً، ومقدار الشربة منه ثلاثة دراهم، ومن مائه خمسة دراهم، وإن طبخ معه شيء من زهر البنفسج والزبيب الأحمر المنزوع العجم، كان أصلح.

قال الرازي: السَّنا والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة، وينفعان من الجرب والحكة، والشربة من كل واحدٍ منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم. وأما السنوات ففيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه العسل. والثاني: أنه رب عكة السمن يخرج خططاً سوداء على السمن، حكاهما عمرو بن بكر السكسكي. الثالث: أنه حب يشبه الكمون وليس به، قاله ابن الأعرابي. الرابع: أنه الكمون الكرمانى. الخامس: أنه الرازيانج. حكاهما أبو حنيفة الدينوري عن بعض الأعراب. السادس: أنه الشبت. السابع: أنه التمر حكاهما أبو بكر بن السُّني الحافظ. الثامن: أنه العسل الذي يكون في زقاق السمن، حكاه عبد اللطيف البغدادي. قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب، أي يخلط السَّنا مدقوقاً بالعسل المخالط للسمن، ثم يلحق فيكون أصلح من استعماله مفرداً لما في العسل والسمن من إصلاح السَّنا، وإعانتته له على الإسهال. والله أعلم^(١).

الوقفه السابعة: حول زيت الزيتون^(٢): شجرة الزيتون شجرة مباركة، وقد أقسم الله ﷻ بها فقال: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ^١ وَطُورِ سِينِينَ^٢﴾. وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً

(١) زاد المعاد لابن القيم، فصل هديه ﷺ وسلم في بيس الطبع (٤/ ٨٨).

(٢) ويقوى نفعه - بإذن الله - إذا كان مقروءاً عليه مع النفث.

تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيِّغُ اللَّائِلِيَّتِ ﴿١﴾.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» ^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «الزيت حار رطب في الأولى، وغلط من قال: يابس، والزيت بحسب زيتونه، فالمعتصر من النضيج أعدل وأجوده، ومن الفج فيه برودة ويوسنة، ومن الزيتون الأحمر متوسط بين الزيتين، ومن الأسود يسخن ويرطب باعتدال، وينفع من السموم، ويطلق البطن، ويخرج الدود، والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلاً، وما استخرج منه بالماء، فهو أقل حرارة، والطف وأبلغ في النفع، وجميع أصنافه مليئة للبشرة، وتبطئ الشيب.

وماء الزيتون المالح يمنع من تنفط حرق النار، ويشد اللثة، وورقه ينفع من الحمرة، والنملة، والقروح الوسخة، والشرى، ويمنع العرق، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا» ^(٢).

الوقف الثامنة: حول الكمأة: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ» ^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «والكمأة تكون في الأرض من غير أن تزرع، وسميت كمأة لاستارها، ومنه كمأ الشهادة، إذا سترها وأخفاها، والكمأة مخفية تحت الأرض لا ورق لها ولا ساق، ومادتها من جوهر أرضي بخاري محتقن في الأرض نحو سطحها يحتقن ببرد الشتاء، وتنمي أمطار الربيع، فيتولد ويندفع

(١) الترمذي في سننه برقم (١٨٥١)، حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٩) (٢/ ٧٢٤).

(٢) زاد المعاد، (٤/ ٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المن شفاء العين، برقم (٥٧٠٨) (٧/ ١٢٦)، ومسلم،

باب فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم ١٥٧ - (٢٠٤٩) (٣/ ١٦١٩).

نحو سطح الأرض متجسداً، ولذلك يقال لها: جذري الأرض، تشبيهاً بالجذري في صورته ومادته، لأن مادته رطوبةٌ دُمويَّةٌ، فتندفع عند سن الترعرع في الغالب، وفي ابتداء استيلاء الحرارة، ونهاء القوة.

وهي مما يوجد في الربيع، ويؤكل نيئاً ومطبوخاً، وتسميها العرب: نبات الرعد لأنها تكثر بكثرتها، وتنفطر عنها الأرض، وهي من أطعمة أهل البوادي، وتكثر بأرض العرب، وأجودها ما كانت أرضها رمليةً قليلة الماء.

وهي أصنافٌ: منها صنفٌ قتالٌ يضرب لونه إلى الحمرة يحدث الاختناق. وهي باردة رطبة في الدرجة الثالثة، رديئة للمعدة، بطيئة الهضم، وإذا أدمنت أورثت القولنج والسكتة والفالج، ووجع المعدة، وعسر البول، والرطوبة أقل ضرراً من اليابسة، ومن أكلها فليدفعها في الطين الرطب، ويسلقها بالماء والملح والصعتر، ويأكلها بالزيت والتوابل الحارة، لأن جوهرها أرضي غليظ، وغذاؤها رديءٌ لكن فيها جوهرٌ مائي لطيفٌ يدل على خفتها، والاكتمال بها نافعٌ من ظلمة البصر والرمد الحار، وقد اعترف فضلاء الأطباء بأن ماءها يجلو العين، ومن ذكره المسيحي وصاحب القانون وغيرهما^(١).

الوقفه التاسعة: حول التمر: في التمر خاصيةٌ عجيبة لهذا الداء، ولا سيما تمر المدينة، وخصوصاً العجوة منه، وفي كونها سبعةً خاصيةً أخرى، تُدرك بالوحي، وفي الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحر**»^(٢).

(١) زاد المعاد، (٤/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب: العجوة، رقم: (٥٤٤٥)، (٧/ ٨٠).

وفي لفظ: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها^(١) حين يصبح، لم يضره سُم حتى يُمسي»^(٢)(٣). اهـ. ويرى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله أنه لا يمنع من وجود تلك الفائدة في أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام^(٤).

وقد ورد ذكره في القرآن، قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجَنَاحَيْ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكَ رُطَبًا جَنِيًّا ۖ فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرِّ عَيْنًا﴾^(٥). وذكر القرطبي رحمته الله في تفسيره: «ذكر الأطباء أن الرطب - وعند عدمه التمر - من أنفع الأغذية للحامل، لاسيما قبل الولادة وبعدها.

قال الربيع بن خثيم: ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئاً هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم، ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت، وكذلك التَّحْنِيك، وقيل: إذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل»^(٦).

الوقفه العاشرة: حول ألبان الإبل وأبوالها: قال ابن حجر في باب الدواء بأبوال الإبل: «عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه: «عليكم بأبوال الإبل فإنها نافعة للذَّربَة بطونهم» والذَّربَة - بفتح المعجمة وكسر الراء - جمع ذربٍ والذرب بفتحيتين فساد المعدة^(٧).

(١) المراد بذلك المدينة المنورة.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الأشربة، باب: فضل تمر المدينة رقم: (٢٠٤٧)، (٣/١٦١٨).

(٣) الطب النبوي لابن القيم (ص ٦٩ - ٧١).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/١٠٩).

(٥) سورة مريم، الآية: (٢٥).

(٦) تفسير القرطبي (١٣/٤٣٧).

(٧) فتح الباري (١٠/١٤٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «قال صاحب " القانون " : ولا يلتفت إلى ما يقال: من أن طبيعة اللبن مضادةٌ لعلاج الاستسقاء. قال: واعلم أن لبن النوق دواءٌ نافعٌ لما فيه من الجلاء برفقٍ، وما فيه من خاصيةٍ وأن هذا اللبن شديد المنفعة، فلو أن إنساناً أقام عليه بدل الماء والطعام شفي به، وقد جرب ذلك في قومٍ دفعوا إلى بلاد العرب فقادتهم الضرورة إلى ذلك فعوفوا. وأنفع الأبوال: بول الجمل الأعرابي، وهو النجيب»^(١).

الوقف الحادية عشرة: حول نبات الصبر: عن نبيه بن وهب قال: «روى مسلم في صحيحه من حديث نبيه بن وهب قال: خرجنا مع أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى إذا كنا بممل^(٢) اشتكى عمر بن عبيد الله عيني، فلما كنا بالروحاء اشتد وجعه، فأرسل إلى أبان بن عثمان يسأله، فأرسل إليه أن أضمدهما بالصبر، فإن عثمان رضي الله عنه حدث عن رسول الله ﷺ في الرجل إذا اشتكى وهو محرم ضمّدهما بالصبر»^(٣). وقال ابن القيم رحمه الله: «الصبر كثير المنافع، لا سيما الهندي منه، ينقي الفضول الصفراوية التي في الدماغ وأعصاب البصر، وإذا طلي على الجبهة والصدغ بدهن الورد، نفع من الصداع، وينفع من قروح الأنف والفم، ويسهل السوداء والماليخوليا»^(٤).

والصبر الفارسي يذكّي العقل، ويمدّ الفؤاد، وينقي الفضول الصفراوية والبلغمية من المعدة إذا شرب منه ملعقتان بماء، ويرد الشهوة الباطلة والفاصلة، وإذا شرب في البرد، خيف أن يسهل دمًا»^(٥).

(١) زاد المعاد (٤/ ٤٤).

(٢) مكان بين المدينة ومكة.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب جواز مداواة المحرم عينيه، (٢/ ٨٦٣) برقم (١٢٠٤).

(٤) سبق تعريفها في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي انظر: (ص ٢٤).

(٥) زاد المعاد (٤/ ٣٠٦).

الوقفة الثانية عشرة: حول الكبّاث: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ نجني الكبّاث، وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه»، قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها»^(١).

قال ابن القيم رحمته الله: «الكبّاث بفتح الكاف والباء الموحدة المخففة والشاء المثناة، ثمر الأراك وهو بأرض الحجاز، وطبعه حار يابس، ومنافعه كمنافع الأراك: يقوّي المعدة، ويحيد الهضم، ويجلو البلغم، وينفع من أوجاع الظهر، وكثير من الأدوية، وقال ابن جليل: إذا شرب طيبخه أدرّ البول ونقّى المثانة، وقال ابن رضوان: يقوّي المعدة، ويمسك الطبيعة»^(٢).

الوقفة الثالثة عشرة: حول الملح: عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لعن الله العقرب، لا تدع مصلياً ولا غيره»، ثم دعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: ب ﴿قُلْ يَٰأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾^{(٣)(٤)}.

قال ابن القيم رحمته الله: «فإن في الملح نفعاً لكثير من السموم، ولا سيما لدغة العقرب، قال صاحب "القانون": يضمده به مع بذر الكتان للسع العقرب، وذكره غيره أيضاً. وفي الملح من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها، ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج إلى تبريد وجذب وإخراج، جمع بين الماء المبرّد لنار اللسعة، والملح الذي فيه جذب وإخراج، وهذا أتم ما يكون من

(١) صحيح البخاري برقم (٣٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٠٥٠).

(٢) زاد المعاد (٤/٣٣٥).

(٣) المعجم الصغير (ص ١١٧)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢/٨٠)، برقم (٥٤٨).

(٤) وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لدغت النبي ﷺ عقرب في الصلاة فقال: لعن الله العقرب ما تدع المصلي وغير المصلي، اقتلوها في الحل والحرم» رواه مسلم برقم (١١٩٨).

العلاج، وأيسره، وأسهله، وفيه تنبيهٌ على أن علاج هذا الداء بالتبريد والجذب والإخراج والله أعلم^(١).

وقد روى مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة قال: («جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقربٍ لدغتنِي البارحة فقال: «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرْك» »^(٢).

الوقفة الرابعة عشرة: حول الحجامة والكَيّ: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشربة محجم، وكَيّة نار، وأنهى أمتي عن الكَيّ)^(٣).

وثبت في الصحيحين في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم الذين «لا يسترُقون، ولا يكتوون، ولا يتطَيرون، وعلى ربهم يتوكلون»^(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: «فقد تَضَمَّنَتْ أحاديث الكَيّ أربعة أنواع، أحدها: فعله؛ والثاني: عدم محبته له؛ والثالث: الثناء على مَنْ تركه؛ والرابع: النهي عنه، ولا تعارض بينهما بحمد الله تعالى. فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه، فعلى سبيل الاختيار والكرهية، أو عن النوع الذي لا يحتاج إليه، بل يفعل خوفاً من حدوث الداء. والله أعلم»^(٥).

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشفاء وغيره برقم (٢٧٠٩)، (٤/ ٢٠٨١).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث برقم (٥٦٨٠) (٧/ ١٢٢).

(٤) صحيح البخاري برقم (٥٧٠٥)، ومسلم برقم (٢٢٠)، وليس فيه موضع الشاهد (ولا يكتوون).

(٥) زاد المعاد (٤/ ٨٩).

وقفات حول حقيقة تلبس الجن بالإنس

في هذا الموضوع بيان وفتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم ٢١٥١٨ بشأن مسألة دخول الجنّي في بدن الإنسي، ونصّه الآتي:

«دلّ كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة على جواز دخول الجنّي بالإنسي، ووقوعه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١). قال ابن جرير رحمه الله: يعني بذلك: يتخلّبه الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخفّقه فيصرعه، (من المس) يعني من الجنون»^(٢).

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس
بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وقد سئل سماحة المفتي صالح بن فوزان الفوزان عن الصرع فقال: الصرع على نوعين: النوع الأول: صرع بسبب مرض عصبي: هذا علاجه عند الأطباء. وأما النوع الثاني من الصرع فهو صرع بسبب مس الجنّ هذا علاجه بالرقية الشرعية^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولما غفل الناس عن الأوراد الشرعية كثرت فيهم الجنّ الآن وتلاعبت بهم»^(٤).

(١) سورة البقرة: (٢٧٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١١٥).

(٣) الرقية الشرعية ضوابطها ومحاذيرها (ص: ٥٣)، إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

(٤) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (١٨/ ١٩٧).

الوقفة الأولى: حول صرع الجن^(١)

عن ابن يعلى بن مرة عن النبي ﷺ أنه أتته امرأة بابن لها قد اصابه لمم-الصرع- فقال النبي ﷺ: «اخرج عدو الله أنا رسول الله» قال: فبرأ فأهدت له كبشين وشيئاً من أقط وسمن، فقال رسول الله ﷺ: «يا يعلى خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين وردّ عليها الآخر»^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع، وأمر من جهة المعالج، فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع محاربة، والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحاً في نفسه جيداً، وأن يكون الساعد قوياً»^(٣)، فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل، فكيف إذا عدم الأمران جميعاً: يكون القلب خراباً من التوحيد، والتوكل، والتقوى، والتوجه، ولا سلاح له. والثاني: من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضاً حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: "اخرج منه". أو بقول: "بسم الله"، أو بقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله". والنبي ﷺ كان يقول: («اخرج عدو الله أنا رسول الله»)^(٤).

(١) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٩٤).

(٢) رواه أحمد، مسند أحمد (٤ / ١٧٢)، والحاكم وصححه، وقال المنذري في الترغيب: إسناده جيد، وقال الهيثمي في المجمع (٩ / ٦): أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر: (ص ٣٢).

(٤) زاد المعاد (٤ / ٦٢).

قلت: فأين بعض الرقاة من هذا الأثر حينما يسترسلون في الحديث مع بعض المقروء عليهم؟! فقد يكون من بين هؤلاء المقروء عليهم مرضى نفسيون يتوهمون تلبس الجن أو السحر^(١).

وقد تكون حجة أحدهم بأن لديه تجربة من عقدين أو ثلاثة، وربما كانت هذه التجربة طيلة هذه المدة على طريقة غير صحيحة، والله المستعان.

لهذا ينبغي للراقي المعالج أن يكون على اطلاع بالاضطرابات النفسية واضطرابات الإدمان^(٢)، مع الممارسة نوعاً ما، حيث قد يحصل على الخبرة في هذا المجال، وربما تتولد لديه ملكة التشخيص بإذن الله عز وجل.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها حدثنا محمد، أخبرنا مغلدة، عن ابن جريج، أخبرني عطاء: «أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء، على ستر الكعبة»^(٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح، فأتمتهم وعقلاؤهم يعترفون به،

(١) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٣).

(٢) وذلك من أمور الطب كما نصت عليه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، انظر: (ص ١٢)، وعليه فالرقية لها جانبان، الأول شرعي والآخري مهني كحصول الراقي على دورات تأهيلية في الاضطرابات النفسية واضطرابات الإدمان، انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٣٤٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المرض، باب: فضل من يصرع من الريح، رقم: (٥٦٥٢)، (١١٦/٧).

ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتُدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتُبطلها، وقد نصَّ على ذلك بقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلط والمادة، وأما الصرع الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وصرع الجنّ هو لأسباب ثلاثة: تارة يكون الجنّي يُحبُّ^(٢) المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع أرفق من غيره وأسهل. وتارة يكون الإنسيّ آذاهم إذا بال عليهم، أو صب عليهم ماء حاراً، أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى، وهذا أشد الصرع، وكثيراً ما يقتلون المصروع. وتارة يكون بطريق العبث كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل»^(٣).

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: إن أقواماً يقولون إن الجنّي لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه)^(٤).

وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله في فتاوى نور على الدرب ما نصه: س: هل الشيطان يتكلم على ألسنة البشر؟
ج: قد يتكلم على ألسنة البشر، ويكذب عليهم، وقد يغرّ الناس في

(١) زاد المعاد (٣/ ٧٤٠).

(٢) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٢).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٧).

أشياء كثيرة يكذبها^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (وليس من أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يكذب ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)^(٢).

وذكر ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله: (وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردةً فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحسُّ بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً. وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وحدثني^(٣) أنه قرأها مرةً في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومدَّ بها صوته. قال: فأخذت عصاً، وضربت^(٤) بها في عروق عنقه حتى

(١) فتاوى نور على الدرب، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١/ ٢٣٢).

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٣/ ١٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار الكتب العلمية.

(٣) الكلام للإمام ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رفع الله درجاتهما في أعلى عليين.

(٤) قلت: ليس الاستشهاد بهذه القصة جواز الضرب على إطلاقه؛ فربما يظن بعض الرقاة في وقتنا الحاضر حينما يتخبط المريض النفسي تخبطاً وهمياً. في أثناء الرقية بأنه مصاب بتلبس الجن فيقوم بضربه بدعوى طرد الجن، للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٣)، قال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمته الله: (ينبغي تركه؛ لأنه قد يتعدي عليه وقد يضره على غير بصيرة، ولقد ورد عن بعض الأئمة فعل مثل ذلك الضرب. وهذا يحتاج إلى نظر؛ فإن الخنق والضرب قد يترتب عليه هلاك المريض، والمشروع هو القراءة فقط بالآيات والدعوات الطيبة، وهذا هو الذي ورد عن النبي ﷺ والصحابه رضوان الله عنهم ولا نعرف أنهم كانوا يضربون.. فالواجب عدم فعل ذلك وعدم التعرض لهذا الخطر العظيم، ولو كان خيراً لبينه النبي ﷺ وليبينه الصحابة، ثم هذا في

كلت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب ففي أثناء الضرب قالت: «أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها هو لا يريد أن يحج معك، فقالت أنا أدعه كرامة لك، قال: قلت: لا ولكن طاعةً لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضربٌ ألبته، وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملة فهذا النوع من الصرع، وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر، والتعاويد، والتحصينات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا، ولو كُشف الغطاء لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقةً، وبالله المستعان^(١).

قلت: هذا من جهة حقيقة تلبس الجنّ بالأنس. أما بالنسبة لقرين الجنّ فليس له علاقة بتلبس الإنس كما يعتقد كثير من المراجعين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

الغالب تحركات قد تفضي إلى هلاك المريض) (مجلة الدعوة العدد ١٥٤٣).

(١) زاد المعاد (٤/٦٣).

« ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن ». قالوا: وإياك يا رسول الله ؟ قال: « وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ^(١) . فلا يأمرني إلا بخير » ^(٢)، أي: استسلم وانقاد ^(٣).

وكان ابن عيينة يرويه: فأسلم - بالضم - ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: « فلا يأمرني إلا بخير » دل أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله - كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله، بل يعاقبه على ذلك؛ فيحتاج لانقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذته وعجزه لا لصلاحه ودينه؛ ولهذا قال ﷺ: **إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير** ^(٤).

(١) قال ابن أبي العز رحمته الله: « ومعنى فأسلم أي: فاستسلم وانقاد لي في أصح القولين؛ ولهذا قال: (فلا يأمرني إلا بخير)، ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً فقد حرّف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمناً. ومعنى: **يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** [الرعد: ١١] قيل: حفظهم لهم من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، وقد ثبت بالنصوص المذكورة: أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم **يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** [الأنفطار: ١٢]، ويشهد لذلك قوله ﷺ: (قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فكتبوها عليه سيئة، وإذا همّ عبدي بحسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة، فإن عملها فكتبوها عشراً)، وقال رسول الله ﷺ: (قالت الملائكة: ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، قال: ارقبوه، فإن عملها فكتبوها بمثلها، وإن تركها فكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي)، خرجها في الصحيحين واللفظ لمسلم. قال الشيخ ابن جبرين رحمته الله: «الحديث الذي بدأ به الشارح فيه بيان أن الإنسان موكل به ملائكة يأمرونه بالخير، وهناك شياطين يأمرون الناس بالشر، يسمّى هذا قرين وهذا قرين، الجنّي الذي هو الشيطان قرين سوء، والملاك قرين خير»، وقد ورد في الحديث (إن للشيطان لمةً بابن آدم، وللملك لمةً، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق). شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين، (٤/ ١٠٣ - ١٠٤) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم، (٢٨١٤)، وأحمد (١/ ٣٦٤٨).

(٣) الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله.

(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٤ - ٢٨٥).

الوقف الثانية: حول لغات الجن

قد يتكلم الذي قُرئ عليه بالقرآن بلغة مختلفة عن لغة بلاده، فربما غلب على ظن الراقي في أثناء الرقية بأنه مصاب بتلبس الجن من جنس تلك البلاد التي نطق بلغتها على لسانه، فعلى الراقي المعالج أن ينظر في التاريخ المرضي للمستفيد حتى يميّز بينه وبين المريض النفسي الذي له معرفة بتلك اللغة التي تكلم بها، فقد تكون هذه اللغة من ذاكرته؛ بينما المصاب بتلبس الجن أو السحر الذي ليس له معرفة باللغة التي نطق بها الجنّ على لسان المقروء عليه، قد يكون من جنس تلك البلاد^(١) والله أعلم، وربما أشكل التمييز بينهما على بعض الرقاة^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (هذا الذي قاله^(٣) مشهور، فإنه يصرع الرجل^(٤))، فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويُضرب على بدنه ضرباً عظيماً، لو ضرب به جمل، لأثر به أثراً عظيماً، والمصرّوع مع هذا لا يحسُّ

(١) ذكر فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن تركي الخثالان في مركز التميّز البحثي على اليوتيوب قصة حول هذا الموضوع عن أحد الرقاة يقول: أن رجلاً عامياً لم يخرج أصلاً خارج المملكة يقول: رقيته فنطق على لسانه من يتحدث باللغة الأردية يقول الشيخ: فأردت أن أختبر صدق هذا الراقي، قلت: كيف عرفت أن هذه اللغة أردية؟ قد يكون هذا هذياناً؟ قال: لا، إن الداعية الفلاني في مكتب الدعوة أتى وترجم له باللغة الأردية، فأردت أن أتأكد أكثر، فذهبت إلى الداعية وقابلته وقلت: هل فعلاً أنت ترجمت؟ قال: نعم. نطق على لسانه باللغة الأردية وترجمت كلامه من اللغة الأردية إلى اللغة العربية.

(٢) ذكرت قصتين حول هذا الموضوع، انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤٠).

(٣) يعني بذلك الكلام السابق للإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، انظر: (ص ٧٨).

(٤) يعني بذلك رحمته الله الجنّي المتلبس بالإنسي.

الضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يُجَرَّ المصروعُ وغير المصروع، ويجر البساط الذي يجلس عليه ويحوّل الآلات ... ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً، بأن الناطق على لسان الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان^(١).

وهنا أنقل فائدة نفيسة من فتاوى سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمته الله تتعلق بهذا الموضوع، فقد سئل رحمته الله عن لغات الجن، فأجاب بما نصه:
«الذي يظهر أنهم مثل الإنس، لهم لغات متعددة، ففيهم الإنجليزي^(٢) وفيهم الفرنسي، والعجمي، والعربي وهكذا، فهم أجناس؛ لأن الله قال عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾^(٣) فهم على طرائق، وقال سبحانه عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾^(٤). يعني أقساماً، وفرقاً فيهم الطيّب، وفيهم الخبيث، وفيهم الجهمي، وفيهم السنّي، وفيهم الرافضي، وفيهم النّصراني^(٥)، وفيهم اليهودي، وفيهم غير ذلك، أقسام وفرق شتى، ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٦). فقلوله: ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ يعمُّ الفرق الأخرى^(٧).

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ١٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

(٢) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤٤).

(٣) سورة الجن، الآية: (١١).

(٤) سورة الجن، الآية: (١٤).

(٥) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤١).

(٦) سورة الجن، الآية: (١١).

(٧) فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نور على الدرب، (١/ ٢٣٦).

الوقفه الثالثة: حول الصرع العصبي

عرف قديماً بصرع الأخلاط، وهو يختلف عن صرع الجن كما قال ابن القيم رحمته: (وأما صرع الأخلاط، فهو علة تمنع الأعضاء النفسية^(١) عن الأفعال والحركة والانتصاب منعاً غير تام، وسببه خلط غليظ لزج يسد منافذ بطون الدماغ سدة غير تامة، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذاً تاماً من غير انقطاع بالكلية، وقد تكون لأسبابٍ آخر كريح غليظٍ يحتبس في منافذ الروح، أو بخارٍ رديءٍ يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنج في جميع الأعضاء^(٢)، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصباً، بل يسقط، ويظهر في فيه الزبد غالباً^(٣)).

وهذه العلة تُعدُّ من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصّةً، وقد تُعدُّ من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر بُرئها، ولا سيما أن تجاوز في السن خمسين وعشرين سنةً، وهذه العلة في دماغه، وخاصةً في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازماً، قال أبقرات: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا^(٤).

(١) ربما يعني بذلك رحمته الأعضاء العصبية، أو ما يسمّى بمصطلح الطب النفسي الموصلات العصبية.

(٢) إذا تأملنا هذا الكلام جيداً حينها لا نستنكر نوبة الصرع عند بعض المرضى في أثناء ما يمر بإجهاد نفسي سواء أكان من خبر مُحزن أو غيره من الصدمات النفسية.

(٣) في أثناء مشاركتي في إحدى اللقاءات مع بعض الأطباء وبعض الرعاة استشهدت بهذا الكلام في التمييز بين صرع الجن والصرع العصبي، فقال لي أحد الأطباء معجباً بهذا الكلام: هل درس ابن القيم رحمته الطب؟

(٤) قلت: في كلام أبقرات هذا نظر وهذا على حد علمه في زمنه، أما في زمننا هذا فقد يشفى

إذا عرف هذا، فهذه المرأة^(١) التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها النبي ﷺ الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها ألا تتكشف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة.

وفي ذلك دليل على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله، وتأثر الطبيعة عنه وانفعالاتها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جربنا هذا مراراً نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم، وسفلتهم، وجهالهم، والظاهر: أن صرع هذه المرأة كان من هذا النوع، ويجوز أن يكون من جهة الأرواح، ويكون رسول الله ﷺ قد خيرها بين الصبر على ذلك مع الجنة وبين الدعاء لها بالشفاء، فاختارت الصبر والستر، والله أعلم^(٢).

بعض مرضى الصرع تماماً بفضل الله ﷻ ثم بتناول الأدوية الحديثة.

(١) سبق الحديث عن أم زفر رضي الله عنها (ص: ٧٧).

(٢) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٥٤).

الوقفه الرابعة: حول عداوة الجن للمعالج

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: إذا كان الراقي الداعي المعالج لم يتعدَّ عليهم كما يتعدَّى عليهم كثير من أهل العزائم، فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله، وقد يجسسون من لا يحتاج إلى حبسه، ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك، ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه .

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به ورسوله فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعي التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هذا لا تؤذيه الجن، إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه . وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هذا أن يحترز لقراءة العوذ، مثل آية الكرسي والمعوذات^(١)، والصلاة، والدعاء، ونحو ذلك مما يقوى الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه، فإنه مجاهد في سبيل الله، وهذا من أعظم الجهاد، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه، وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فلا يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق، ومن أعظم ما يتصر به عليهم آية الكرسي^(٢) .

(١) وهي سور الإخلاص والفلق والناس.

(٢) مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام (١٩/٥٣).

وقفة حول أثر مجالس الذكر

مجالس الذكر هي رياض الجنة، وفيها الراحة والسرور، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء» (٢).

وقال مالك بن دينار -رحمه الله-: «ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ﷻ، فليس شيء من الأعمال أقل مؤونةً منه، ولا أعظم لذة، وأكثر فرحةً وابتهاجاً للقلب» (٣).

ومن فوائد مجالسة أهل الذكر إتساع الإدراك، قيل للإمام الشافعي -رحمه الله-: أخبرنا عن العقل، يولد به المرء؟ فقال: لا، ولكنه يلحق من مجالسة الرجال ومناظرة الناس (٤).

وقال عبدالله بن المعتز -رحمه الله-: (العقل غريزة تربيها التجارب) (٥). هذا من جهة تنمية العقل وتغذيته بالأمور النافعة شرعاً، ولكن له مدى يصل إليه كما قال الشافعي -رحمه الله-: إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر

(١) سورة الرعد: (آية ٢٨).

(٢) الزهد، لأحمد بن حنبل رحمه الله (ص ١٠١).

(٣) الوايل الصيب لابن القيم (ص ٨١).

(٤) حلية الأولياء (٩ / ١٢١).

(٥) الوافي بالوفيات (١٧ / ٢٤١).

حداً ينتهي إليه^(١).

وليس خروج الجنّ المتلبس بالإنس مقصوداً على الرقية فحسب، بل إن بعض المصايين بتلبس الجنّ لا يستطيعون المكوث طويلاً في مجالس الذكر^(٢) وهذا مشاهد في بعض المقاطع في أثناء ما يصرع أحدهم في صلاة التراويح.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٤).

وفي هذا دلالة على بطلان دعوى بعض الرقاة باشتراط النية قبل الرقية، فهذا الشخص الذي صرع عند قراءة القرآن سواء في صلاة التراويح أو غيرها من الصلوات الجهرية، لم يستحضر الإمام نية الشفاء وغيرها كما ذكر معالي رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدكتور/ عبدالرحمن السند عن ابتداع طريقة في الرقية حسب رغبة المريض فتكون بنية الإلهام، أو الشفاء، أو الهداية، أو التعذيب، أو الإحراق، أو الإضعاف^(٥).

قال الحسن البصري -رحمه الله-: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

(١) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٢٠٧).

(٢) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور

شرعي (ص ٣١١).

(٣) سورة طه: (آية ١٤).

(٤) سورة ق: (آية ٤٥).

(٥) أحكام الرقية الشرعية ص (٨٤).

وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف رحمهم الله: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.

وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه، والله أعلم^(١).

ومجالس الذكر تقرب من الله عز وجل والطاعة، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ

بلزوم أهل الخير والصلاح فقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝﴾^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «الصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن»^(٣).

(١) مدارج السالكين ص (٥٩٥ - ٥٩٦).

(٢) سورة الكهف: (آية ٢٨).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ٣٠٤).

وقفات حول العين والحسد

تُطلق تسمية النَّفْس عند بعض الناس على الإصابة بالعين ويقولون: فلان فيه نفس؛ لأن تأثير نفس الحاسد على المحسود إنما يكون بواسطة العين، ويقول البعض الآخر: فلان فيه عين.

قال ابن القيم رحمته الله: «ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف^(١) له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية»^(٢).

وقال ابن حجر رحمته الله: «وأن العين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه»^(٣).

والحسد منشؤه من النفس كما وصف الله ﷻ حسد أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُقَارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٤).

وقال ابن حزم رحمته الله: «الحرص متولد عن الطمع والطمع

(١) قال رحمته الله في موضع آخر: «النظر الذي يؤثر في المنظور: قد يكون سببه شدة العداوة والحسد فيؤثر نظره، كما تؤثر نفسه بالحسد، ويقوى تأثير النفس عند المقابلة، فإن العدو إذا غاب عن عدوه فقد يشغل نفسه عنه. فإذا عاينه قُبلاً اجتمعت الهمة عليه، وتوجهت النفس بكليتها إليه، فيتأثر بنظره، حتى إن من الناس من يسقط، ومنهم من يُحْمَمُ، ومنهم من يحمل إلى بيته. وقد شاهد الناس من ذلك كثيراً»، بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٥٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٠٥).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٠٩)

متولّد عن الحسد والحسد متولّد عن الرّغبة والرّغبة متولّد عن الجور الشُّح^(١) والجهل^(٢). وقال ﷺ في موضع آخر: «إن ذوي التراكيب الخبيثة يبغضون لشدة الحسد كلّ من أحسن إليهم، إذا رأوه في أعلى من أحوالهم»^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»^(٤).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الشّاء، وحب الفخر»^(٥).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: البخل والحسد مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وحبها لما يضرها، ولهذا يقرن الحسد بالحقْد والغضب، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٠)، وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ما نصه: هل البخل ثمرة من ثمرات الشح؟ الجواب: الشح أشد، فالشح معناه: البخل بالموجود، والحرص على المفقود، فالشح يحريص على طلب الزيادة وبخيل بما عنده (موقع الشيخ ابن باز)، وقال ابن القيم رحمه الله: الجبن والبخل قرينان. انظر: (ص ٤٦)، قلت: والخوف يصدر من الشح، قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَشِدَّةً عَلَى الْفَقِيرِ﴾ الأحزاب: ١٩، بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَرُوفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم والقلق الذي أذهلهم، وخوفاً من إجبارهم على ما يكرهون من القتال. (تفسير الكريم الرحمن ٦٦٠)، وضد الجبن والبخل الكرم والشجاعة، وهما قرينان، كذلك كان النبي ﷺ أكرم الناس وأشجع الناس.

(٢) مداواة النفوس (ص ١٠٩).

(٣) الأخلاق والسير (ص ٢٤٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٨).

(٥) العقد الفريد (١٧٣/٢).

وقال ابن قدامة رحمه الله: «ومن مداخل الشيطان وأبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصاً على شيء، أعماه حرصه وأصممه وغطى نور بصيرته التي يعرف بها مداخل الشيطان»^(١).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «الرزق مقسوم، والحرص محروم، والحسود مغموم، والبخيل مذموم»^(٢).

وقال ابن سيرين رحمه الله: «الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مطفىء، ونار الحسد لا تطفأ، ومن الحسد يتولد الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه نساؤه الغيظ، وثمرته الندم، والحسد اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره»^(٣).

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: (الغل هو الحسد، فما خرج منه فهو الشر، وما بقي منه فهو الغل، وليس يسلم أحد أن يكون فيه شيء من الحسد)^(٤).

ولذا امتنَّ الله تعالى على أهل الجنة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(٥). قال السعدي رحمه الله: (ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم، فهذا يأمنون من التحاسد والتباغض)^(٦) لأنه قد

(١) مختصر مناهج القاصدين (ص: ١٤٨).

(٢) بهجة المجالس (ص: ٢٨).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٣٤).

(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٤).

(٥) سورة الحجر، الآية (٤٧).

(٦) قلت: كما قال ابن الجوزي رحمه الله: (فإن أردت العيش، فابعده عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك، فربما أصابها بالعين! فإن اضطرت إلى مخالطته، فلا تفش له سرّاً، ولا تشاوره، ولا يغرنك تملّقه لك، ولا ما يُظهره من الدين والتعبد، فإن الحسد يغلب الدين! وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل!

فُقدت أسبابه) (١).

وكان من دعاء النبي ﷺ: (... واسلل سخيمة قلبي) (٢).
قال ابن القيم رحمه الله: «وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برِّ القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تبارك وتعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟» (٣).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «(الحسد) مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: (ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يديه والكريم يخفيه)، وقد قيل للحسن البصري: أَيْحَسُّدُ الْمُؤْمِن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك، ولكن عَمَّهُ في صدرك، فإنه لا يضرُّك ما لم تعدَّ به يداً ولساناً.. (٤). ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه، كما جرى لزَيْنَب بنت جحش رضي الله عنها فإنها كانت هي التي تُسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ،

وأن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس! وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء، وعبد الله بن أبي من الرؤساء، أخرجهما حسد رسول الله ﷺ إلى النفاق وترك الصواب، ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما فيه، فإنه في أمر عظيم متصل، لا يرضيه إلا زوال نعمتك، وكلما امتدت، امتد عذابه، فلا عيش له! وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نُزع الحسد والغُلّ من صدورهم، ولولا أنه نُزع، تحاسدوا، وتنغصص عيشهم، صيد الخاطر (٤٦٣).

(١) تفسير السعدي، تفسير الكريم الرحمن (ص ٢٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥١٠)، وابن ماجه (٣١٠٣)، والترمذي (٣٥٥١)، وصححه الألباني، والسخيمة: الحقد والضغينة.

(٣) الجواب الكافي (١/ ١٢١).

(٤) وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...» أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٤).

وحسد النساء بعضهم لبعض كثير غالب لا سيما المتزوجات بزواج واحد، فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه، فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها. وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر^(١).

والكبر والحسد قرينان قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) عن مالك أنه قال: بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكبر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من الشجرة^(٣). ويظهر الكبر من صاحبه على أثر نقص يجده في نفسه، فقد يصدر منه الحسد على غيره بقدر ذلك النقص.

كما قال ابن القيم رحمه الله: «وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره^(٤) فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همّة وصغر نفس، قال النبي ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)^(٥) فهذا حسد منافسة يطالب الحاسد به نفسه أن يكون مثل

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٢٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٤).

(٣) تفسير القرطبي (الجزء الأول ص ٢٩٦).

(٤) قلت: كما قال ابن الجوزي رحمه الله: عداوة الأقارب صعبة، وربما دامت، كحرب بكر وتغلب ابني وائل، وعبس وذبيان ابني بغض، والأوس والخزرج ابني قيلة، قال الجاحظ رحمه الله: تعدت هذه الحرب أربعين عاماً! والسبب في هذا أن كل واحد من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد، صيد الخاطر (٤٧٦).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، رقم (٧٣)، (١/٢٥)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره، فيعمل بها ويعلمها، رقم ٨١٦، ١/٥٥٩.

المحسود، لا حسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن المحسود»^(١).
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه»^(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد... قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾»^(٣)^(٤).

وقال أبو موسى عمران بن موسى المؤدب: «قرأت في بعض الكتب، ما رأيت أحداً قط، تكبر على من دونه، إلا وبذلك المقدار يجود بالذلة لمن فوقه»^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «الحاسد تُعينه الشياطين بلا استدعاء للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم كما أن إبليس حسد آدم عليه السلام لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له فالحاسد من جند إبليس»^(٦).

وقال عبد الله ابن المعتز رحمته الله: «من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به، أو حقد عليه»^(٧).

وروي عن الأحنف بن قيس رحمته الله أنه قال: «لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا رأي لخائن، ولا سؤدد

(١) الفوائد لابن القيم (ص ٢٠٣).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب (ص ٣٧١).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٤٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٢).

(٥) مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص ٢٦٣).

(٦) بدائع الفوائد (٢/٧٥٨).

(٧) الوافي بالوفيات (١٧/٢٤٢).

لسيِّء الخلق». وقال بعض الحكماء: ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد^(١).

وأوصى الإمام مالك الإمام الشافعي رحمه الله: «لا تسكن الريف فيذهب علمك، من أراد العلا هجر القرى؛ فإن الحسد في الأرياف ميراث»^(٢).

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وتأثيرات النفوس بعضها في بعض أمر لا ينكره ذو حس سليم، ولا عقل مستقيم، ولا سيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فإن قواها تتضاعف وتزايد بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها على الأخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفاسف الأخلاق ورذائلها وسافلها فإن تأثيرها في العالم يقوى جداً، تأثيراً يعجز عنه البدن، وأعراضه أن تنظر إلى حجر عظيم فتشقه أو حيوان كبير فتتلفه أو إلى نعمة فتزيلها. وهذا أمر قد شاهدته الأمم على اختلاف أجناسها وأديانها وهو الذي سمي إصابة العين فيضيفون الأثر إلى العين وليس لها في الحقيقة وإنما هو النفس المتكيِّفة بكيفية رديّة سُميّة وقد تكون بواسطة نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشيء من بعيد فتتكيّف عليه نفسه بتلك الكيفية فتفسده)^(٣).

فكما أن للعين آثارها العضوية، كذلك لها آثارها النفسية ولهذا أمرنا الله

وَعَلَّكَ أَنْ نَتَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ صَاحِبِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٤). ولهذا يُشرع للمسلم أن يقرؤها في أوراده صباحاً ومساءً.

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، للسمرقندي (ص ١٧٩).

(٢) المدونة الكبرى (٦/ ٤٦٤).

(٣) كتاب الروح لابن القيم (ص: ٢٦٢).

(٤) سورة الفلق: (آية ٥).

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود. فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه. فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فحقق الشر منه عند صدور الحسد. والقرآن ليس فيه لفظة مهملة.

ومعلوم أن الحاسد لا يسمّى حاسداً إلا إذا قام به الحسد، كالضارب، والشاتم، والقاتل ونحو ذلك. ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود، لاه عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعث نار الحسد من قلبه إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه. فيتأذى المحسود بمجرد ذلك. فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به، ويكون له أورد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله، وإلا ناله شر الحاسد ولا بد. فقوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل^(١).

وقال حاتم الأصم رحمه الله: «رأيت الناس يتحاسدون فنظرت في قوله تعالى: ﴿أَهْرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنُحْنُ فَنَسْمُنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فتركت الحسد لأنه اعترض على قسمة الله»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٤).

قال الحسن البصري رحمه الله: «لا تتمن مال فلان ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال»^(٥).

(١) التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم لابن القيم: (ص ٥٤٩)، الناشر: دار الهيثم، القاهرة، عام ١٤٢٦ هـ.

(٢) سورة الزخرف، الآية (٣٢).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٨).

(٤) سورة النساء، الآية: (٣٢).

(٥) الدر المشور (٢/٥٠٧).

والحسد هو مرض قلبي قائم على عدم الرضا بقضاء الله وقدره.
 ودليل ذلك ما جاء عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: (مرَّ عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف، وهو يغتسل فقال: لم أرَ كالיום، ولا جلد مخبأةٍ فما لبث أن لُبَّطَ به، فأُتِيَ به النبي ﷺ فقليل له: أدرك سهلاً صريعاً، قال «من تتهمون به» قالوا عامر بن ربيعة، قال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه، فليدع له بالبركة» ثم دعا بماء، فأمر عامراً أن يتوضأ، فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، وركبتيه وداخلته إزاره، وأمره أن يصب عليه قال سفيان: قال معمر، عن الزهري: وأمره أن يكفأ^(١) الإناء من خلفه^(٢).
 وفي رواية قال عامر بن ربيعة: (فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها». قال: فقام)^(٣).

وقال أبو حاتم رحمه الله: «بئس الشعار للمرء الحسد؛ لأنه يورث الكمد ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له، والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة جهت وإن رأى به عثرة شمت، ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين وما رأيت حاسداً سالم أحداً. والحسد داعية إلى النكد؛ ألا ترى إبليس حسد آدم فكان حسده نكداً على نفسه فصار لعيناً بعدما كان مكيناً ويسهل على المرء ترضي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها»^(٤).

(١) أي: صبه خلفه من على رأسه، طرح الثريب في شرح التقريب (٨ / ٢٠٠).

(٢) سنن ابن ماجه (٢ / ١١٦٠)، صححه الألباني برقم (٤٤٨٧)، وأحمد (١٦٠٢٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٦١٩) باختلاف يسير.

(٣) الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (٦ / ١٤٨).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٣٧).

الوقفة الأولى: حول أثر إصابة العين

لو افترضنا جدلاً: بأن لاعب كرة قدم متميز وشهير أصابته عين من أحد الجماهير وهو يجري في الملعب فوق وقع على الأرض أو اصطدم بلاعب آخر وأصيبت قدمه اليمنى بكسر مضاعف ونُقل إلى المستشفى وأجريت له عملية جراحية، واستمر على الرقية بعدها حتى لا تتضاعف الإصابة وتتطور حالته المرضية فتصبح إعاقة إلى أن تماثل بالشفاء بعد فترة من الزمن بإذن الله، ثم عاد إلى ممارسة الرياضة مرة أخرى.

أعتقد أن مستواه الاحترافي لن يعود إلى ما كان عليه في السابق بسبب هذه الإصابة البليغة والله أعلم.

وكذلك ضياع شهرة هذا اللاعب حال ضعف مستواه الرياضي وتعكس سلباً على النفس يوماً بعد يوم إلى أن تتزامن مع الاضطرابات النفسية، وتظهر بآلام جسدية متنقلة، وهذا ما يسمّى في علم النفس بالاضطرابات النفسية جسدية^(١)، كانتقال الآلام من القدم اليمنى المصابة بالكسر سابقاً عند هذا اللاعب إلى القدم اليسرى السليمة، أو الشعور بآلام في أي عضو آخر دون سبب طبي واضح.

كذلك أثر الإصابة بالعين حينما تشترك مع الاضطرابات النفسية وتترك بعض الأعراض على المريض وتظهر بصورة أمراض نفسية حتى بعد الرقية.

فإحساس المريض في مثل هذه الحالة بانتقال الألم من موضع إلى آخر في

(١) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١١٠)

سائر البدن، ليس من أثر إصابة العين مباشرة كما يتصوّر كثير من الناس، لكنها أعراض مصاحبة نتيجة القلق^(١) أو الاكتئاب^(٢) الذي ظهر على المريض على أثر إصابته بالعين بعد فترة تزيد أو تقل عن شهرين أو ثلاثة والله أعلم. كما أن بعض الرقاة اختلفوا في بعض القرائن التي تدل على إصابة المريض بالعين حينما تظهر بعضها على المريض في أثناء الرقية. فبعض الرقاة يقول للمريض: تصوّر العائن في أثناء الرقية فإذا ظهر لك خذ من أثره؟^(٣)

وآخر يقول للمريض: سوف ترى العائن في النوم بعد الرقية؟ وراقٍ آخر يقول: إن المريض يشعر بحرارة في بعض أعضاء جسمه في أثناء الرقية.

وآخر يؤكد على إصابة المريض بالعين حينما يبكي في أثناء الرقية. وآخر يستدل على إصابة المريض بالعين حينما تنتقل الآلام من عضو في الجسم إلى عضو آخر في أثناء الرقية. وآخر يقول: إذا نام المقروء عليه في أثناء الرقية. وآخر يقول: إن الصداع يشتدُّ على المريض في أثناء الرقية. وآخر يقول: إن العين تبدو بشكل واضح حينما يشاء المريض في أثناء الرقية.

(١) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٠١).

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٩٤).

(٣) دعوى تصوّر العائن في اليقظة أو النوم دعوى باطلة وغير صحيحة، سيأتي الكلام عليها (ص ١٣١).

وأما بعض هذه القرائن فلا تجوز؛ مثل القراءة التصورية، والجزم بتصوّر العائن في أثناء الرقية، فربما هذه الطريقة تُعزّز الوهم لدى المريض على خلاف هدي النبي ﷺ: «**ويعجبني الفأل**»^(١).

وقد صدرت فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رداً على سؤال عن مدى صحة تحيّل المريض للعائن من جراء القراءة أو طلب الراقي من القرين أن يخيّل للمريض من أصابه بالعين.

الجواب: تحيّل المريض للعائن في أثناء القراءة عليه، وأمر القارئ له بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز؛ لأنه استعانة بالشياطين، فهي التي تتخيّل له في صورة الإنسي الذي أصابه، وهذا عمل محرم؛ لأنه استعانة بالشياطين، ولأنه يسبب العداوة بين الناس، ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٢) (٣).

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وكذا الجزم برؤية العائن في النوم بعد الرقية، فقد يتلبّس الشيطان للمريض وهو نائم بصورة شخص يعرفه حتى يوقع بينهما العداوة والبغضاء، فخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وما كان عليه سلف الأمة.

فالتهمة على نوعين :

١ - تهمة عليها دليل؛ كالعائن حينما يصف المعيون بكلمة إعجاب ونحوها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: الطب، باب الفأل، حديث رقم (٥٦٥٦)، (١٣٥/٧)،

ومسلم في صحيحه، باب الطيرة والفأل، حديث رقم (١١١)، (٤/١٧٤٦).

(٢) سورة الجن: (٦).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (ص ٩٠).

فيعتَلّ في ساعته على إثرها، كما حصل للصحابي سهل بن حنيف حينما وصفه عامر بن ربيعة رضي الله عنهما^(١).

٢- تهمة ليس عليها دليل فيكتفي المعيون بالرقية الشرعية و الإكثار من قراءة القرآن والأدعية المأثورة من الكتاب والسنة والمحافظة على فعل الخيرات وإقامة الصلاة.

أما البعض الآخر من القرائن فإنها تتشابه إلى حدّ كبير مع أعراض الاكتئاب والأعراض النفس جسدية^(٢) كالآلام الرأس والرقبة وأسفل الظهر واضطراب القولون العصبي وغيرها من الأعراض العضوية.

أما بالنسبة لاضطراب القولون العصبي الحاد الذي يستجيب غالباً لحالات الاكتئاب المزمنة، فقد ينتاب المريض النفسي في أثناء الرقية نوبة ذعر أحياناً مع ضيق في التنفس^(٣) بالإضافة إلى محاولة التقيؤ دون جدوى. فعلى الراقي المعالج في مثل هذه الحالات المشتبهة الاطلاع على ماضي المستفيد، فربما يعاني من اضطراب نفسي.

وأما بالنسبة للصداع المستمر الذي لا يزول إلا بزوال العلة التي بالجسد فيُعدُّ هذا أمراً طبيعياً، كما جاء عن النبي ﷺ: « **تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر**

(١) انظر: (ص ٩٧).

(٢) كما قال ابن القيم رحمه الله: «فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهود»، زاد المعاد، لابن القيم (٤/٢٠٦).

(٣) انظر الرسم في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٦٧).

جسده بالسهر والحُمَّى»^(١).

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمته عدّة أسباب لآلام الرأس والصداع (الشقيقة) منها ما يلي:

- ١ - ما يحدث من الأعراض النفسانية، كالهجوم، والغموم، والأحزان، والوساوس، والأفكار الرديئة.
 - ٢ - ما يحدث من السهر وعدم النوم.
 - ٣ - ما يحدث من كثرة الكلام، فتضعف قوة الدماغ لأجله.
 - ٤ - ما يحدث من ضغط الرأس وحمل الشيء الثقيل عليه.
 - ٥ - ما يحدث من كثرة الحركة والرياضة^(٢) المفرطة.
 - ٦ - صداع يحصل عن امتلاء المعدة من الطعام، ثم ينحدر ويبقى بعضه نيئاً، فيصّدع الرأس ويثقله.
 - ٧ - ما يحدث بسبب الحمّى لاشتعال حرارتها فيه فيتألم، والله أعلم^(٣).
- فعن عبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن جدته سلمى خادمة رسول الله صلّى الله عليه وآله قالت: «ما كان أحدٌ يشتكي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله: وجعاً في رأسه إلا قال: احتجم، ولا وجعاً في رجله، إلا قال اخضبها»^(٤)، وفي رواية: «اخضبها بالحناء»^(٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١).

(٢) قلت: يعني بذلك رحمه الله ترويض البدن على الجوع والعطش. انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٥٤)

(٣) زاد المعاد (ص ٧٤٩)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٧ هـ

(٤) حسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣٤٦١).

(٥) أخرجه البخاري، من حديث سلمى، برقم (٢٧٦١٦)، (٤٥/ ٥٩٠)، والمستدرک علی

الصحيحين للحاكم، كتاب: الطب، رقم (٧٤٥٩)، صحيح الإسناد.

الوقف الثانية: حول قرائن الإصابة بالعين في أثناء الرقية

لاحظت على بعض المراجعين هذه القرائن في أثناء الرقية، كشعور بعضهم بحرارة في سائر أجسامهم أو بعضها، فهذا ملاحظ على الكثير من المراجعين وكذلك إحساس بعض المراجعين بالبرودة، لكنها أقل بكثير من إحساس بعضهم بالحرارة، فمن المراجعين من يشعر بحرارة من أكتافه إلى ساعديه أو في أسفل قدميه ومنهم من يشعر بحرارة في كامل جسمه وكذلك البرودة كما جاء في الحديث (اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها)^(١).

وقد لاحظت أيضاً على بعض المراجعين في أثناء الرقية بكاءً شديداً كان أو يسيراً وقد يصاحبه أحياناً تعرُّق في البدن أو رعشة، أو رجفة في بعض الأعضاء أو في سائر الجسم، أو آلام شديدة في سائر الجسم أو أحد أعضائه، أو الشعور بوخزٍ إبر في الرأس أو أحد الأعضاء أو ألم أو ثقل أو دوران في الرأس، أو صداع، أو دوخة، أو الشعور بغصة في الحلق، أو صعوبة في التنفس، أو الشعور بغازات في البطن، أو مغص، أو الشعور بغثيان، أو التواء في الرقبة أو أحد الأعضاء، أو تصلب في اليدين أو الرجلين أو أحد الأعضاء، أو الشعور بشيء من لمس الكهرباء في إحدى اليدين أو كليهما أو أحد الأعضاء أو تنميل في سائر الجسم أو بعض الأعضاء مع صعوبة القيام وتعب عام بعد الرقية، وكذا إحساس أحدهم بأن حملاً ثقيلاً جثا على صدره، أو نبض في الكفين، أو بعض أعضاء الجسم، وكذلك تصلب في اليدين أو الرجلين، أو تجشؤ في أثناء الرقية، أو خفقان في القلب أو الشعور بالآلام في الصدر، أو نعاس، أو نوم، أو إغماء لطيف في أثناء الرقية أو كحة^(٢) دون سبب طبي ظاهر قبل الرقية، وكذلك ظهور طفح

(١) سبق تخريجه: (ص ٩٨).

(٢) وكذلك أثر الكحة نتيجة الخوف دون سبب طبي ظاهر، انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٧٤).

جلدي دون سبب طبي ظاهر قبل الرقية، أو حكة في أثناء الرقية، وكذلك شعور بعض المراجعين في أثناء الرقية بصعوبة في التنفس وكأن أحداً يخنقه إلى أن تنهار قواه فيضطر إلى الجلوس غالباً فترة يسيرة بعد الرقية لا تتجاوز مدتها عشرون دقيقة، وقد يصاحب بعض هذه القرائن شيء من الخوف، أما بالنسبة لتثاؤب المراجع في أثناء الرقية فيحتمل والله أعلم بأن المستفيد يعاني من أرق أو نحوه، وربما يتفاوت تأثير هذه الأعراض عموماً في أثناء الرقية على المقروء عليهم على قدر قوة الإصابة بالعين أو ضعفها، والله أعلم.

وفي نظري أن هذه الأعراض الظاهرة التي ذكرت، قد يكون فيها دلالة على أثر الإصابة بالعين - والله أعلم - بحسب تأثيرها على حياة الإنسان، أما بالنسبة لغيرها من الأعراض الخفية التي لم أتطرق لها فتظل مجهولة لا يعلمها إلا الله ﷻ، وقد لا حظت التحسن والله الحمد على بعض المراجعين بعد عدة جلسات يسيره.

كما قال الشيخ السعدي رحمه الله: «على قدر تكرارك للرقية الشرعية يكون فتكك بالشياطين وطرده لسموم الحسد»^(١).

وقد لفت انتباهي مقولة متواترة من بعض المراجعين نحو عبارة (حياتي متعطلة أو حالي متوقف) حينما يشكو أحدهم ممن يطلبون الرقية خشية الإصابة بالعين دون أن تظهر عليهم في أثناء الرقية بعض القرائن التي ذكرت، كما أنه لا شيء كائن من كان يستطيع أن يحول بين الله ﷻ وبين رزقه لعباده، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعَدُّونَ﴾^(٢). وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ

اللَّهُ بِضْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّكَ يُرْذَلُ بِمُنْخَرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ

(١) علم العقائد والتوحيد (ص ٤٧).

(٢) سورة الذاريات: (٢٢).

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾

قال ابن عثيمين رحمته الله: «لا أحد يستطيع أن يمسك رحمة الله مهها عمل، حتى لو حاول الحسد والتشويه ومنع الرزق لا يستطيع، إذا فتح الله الرحمة للعبد فلا أحد يستطيع أن يحول بينه وبينها»^(٢).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ أنه قال: **(العينُ حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا)**^(٣).

قال ابن عبد البر رحمته الله: «وفي قوله **(لو سبق شيء القدر لسبقته العين)** دليل على أن الصحة والسُّقم قد علمها الله -تعالى- وما علم فلا بد من كونه على ما علمه، لا يتجاوز وقته، ولكن النفس تسكن إلى العلاج والطب والرقى وكل سبب من أسباب قدر الله وعلمه»^(٤).

وقال القاضي عياض رحمته الله: **(«لو سبق شيء القدر سبقته العين»)**: بيان أن لا شيء إلا ما قدره الله، وإن كل شيء من عين وغيره إنما هو بقدر الله ومشيئته، لكن فيه صحة أمر العين وقوة دائه»^(٥).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «العين لا تأتي إلا غفلة وأكثر ما تأتي أيضاً من يخاف منها»^(٦).

وربما تتجلى فائدة الحوار مع المستفيد قبل الرقية كما جاء في هديه ﷺ في قوله: **(من تتهمون؟)** فعلى الراقي المعالج أن يجتهد في البحث عن أسباب

(١) سورة يونس: (١٠٧).

(٢) تفسير سورة فاطر (ص ٢٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى رقم (٢١٨٨)، (٤/١٧١٩).

(٤) انظر: الاستذكار (٨/٤٠٣).

(٥) إكمال المعلم (٧/٨٥).

(٦) تفسير ابن عثيمين سورة الشعراء (ص ١٠٠).

أخرى قد تعرّض لها المستفيد، كحادث مروري شنيع، أو حالة رُعب عند موقف مخيف، أو وفاة قريب أو ضغوط نفسية مستمرة وغيرها من الصدمات النفسية التي واجهها المريض في حياته، أو أمراض وراثية أو ماضٍ فيه تعاطٍ للمخدرات، فقد تساعد جميع هذه المعلومات على نتائج إيجابية في الوصول إلى معرفة علّة المريض بإذن الله، بدلاً من أن يُعلّق المستفيد فشله في الزواج أو الدراسة أو الوظيفة أو التجارة^(١) ونحوها بإصابته بالعين؛ فقد يرسخ هذا الوهم في ذهن المستفيد إلى أن يهيمن عليه الوهن، فيركن إلى الإحباط حتى يصبح وهم الإصابة بالعين ديدنه طيلة حياته، فربما تعرّض عن مواصلته إلى طريق النجاح، وهذه إحصاءات شيطانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: «وذلك لأن الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويغيّر الإرادة؛ ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٣) فالحزن من أمراض القلب يمنع من نهوضه وسيره وتشميره. والثواب عليه ثواب المصائب الذي يُبتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوها»^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٥).

(١) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٣٢).

(٢) سورة الأعراف، آية (٢٠١).

(٣) سورة المجادلة، آية (١٠).

(٤) طريق الهجرتين. (٢/ ٦٠٧).

(٥) سورة المجادلة، آية (١٠).

وقفة حول أثر السحر^(١)

يُمَوَّه لبعض المصابين بالسحر أشياء موجودة على غير حقيقتها^(٢)، بخلاف ما يرى بعض المرضى النفسيين أشياء غير ملموسة، فقد يرى الرجل المسحور زوجته بشكل قبيح، أو المرأة المسحورة ترى زوجها بشكل مخيف، فلا يطيق أحدهما معايشة الآخر على حسب إصابة أحدهما أو كليهما

(١) السحر لغة: ما خفي ولطف سببه، ومنه سُمِّي السَّحَر لآخر الليل، لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكذلك سُمِّي السَّحُور؛ لما يؤكل في آخر الليل؛ لأنه يكون خفياً؛ فكل شيء خفي سببه يسمَّى سحراً.

وأما في الشرع، فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن الله تعالى قال: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمَّى عندهم بالصرف والعطف فيجعلون الإنسان يعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك، وفي تصوُّره أنه يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله، فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله، (القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين) (ص ٣١٣).

(٢) إن السحر يؤثر بلا شك، لكنه لا يؤثر بقلب الأعيان إلى أعيان أخرى؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله - ﷻ - وإنما يُخَيَّل إلى المسحور أن هذا الشيء انقلب، وهذا الشيء تحرك أو مشى وما أشبه ذلك، كما جرى لموسى - عليه الصلاة والسلام - أمام سحرة آل فرعون، حيث كان يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى، (القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين) (ص ٣١٤).

بالسحر، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

قال الطبري رحمه الله: (واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدعٌ ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر، حتى يُخَيَّلَ إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيدٍ، فيُخَيَّلُ إليه أنه ماءٌ^(٢)، ويرى الشيء من بعيد فيثبت به بخلاف ما هو على حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخَيَّلُ إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرٌ معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته، يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته كالذي حدث للنبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ لما سُحِرَ كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعل»^{(٣)(٤)}.

وسوف تَضْمَحِلُ تلك المخاوف بإذن الله من السحرة والمشعوذين عند كثير من الناس حينما يتدبرون قول الله ﷻ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٥). قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرسٌ من دونه حرس)^(٦).

(١) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٢) انظر: (ص ١٢٣).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (٢ / ٣٥٠).

(٤) والحديث أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩).

(٥) سورة الرعد: (آية ١٣).

(٦) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧٣).

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خَلَّوْا عنه)^(١).

كما أن السحر لا يؤثر على الإنسان بمجرد حصول الساحر على صورته الفوتغرافية أو صورته عبر أجهزة الاتصال ونحوها، ولا يستطيع الساحر السحر حتى بالمكالمات الهاتفية كما يزعم بعض المشعوذين حينما يتصل أحدهم من خارج البلاد ليأخذ أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)، بإذن الله الكوني القدري.

وكذلك من يدَّعون حقيقة ما يسمَّى بالسحر الأسود، أو السحر المرشوش دون دليل^(٣)، قال تعالى: ﴿سَتَكْتُبُ شَهَدَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾^(٤) فهذا باطل كبطلان السحر المستمر^(٥)، قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله ﷺ، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على [صحة ما جاء به وصدقه]، أشار ﷺ إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقَتين، فلقة على جبل أبي قبيس، وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التَّمويه بها والتخييل.

فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا،

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧١).

(٢) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٣) أين السحر المرشوش من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ السَّامِرَاتِ فِي الْقَدْرِ﴾.

(٤) سورة الزخرف: (آية ١٩).

(٥) وربما يظن بعض الناس بأن معنى السحر المستمر فيه دلالة على تجديد السحر، وهذا الكلام غير صحيح، ويحتاج إلى دليل، والله أعلم.

ففرعوا إلى بهتهم وطغيانهم، وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: ﴿سِحْرُ مُسْتَمِرٍّ﴾ سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل»^(١).

وكذلك من يدعون حقيقة سحر التعطيل^(٢) دون دليل؟ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٣). فمن هم حتى يتألوا على الله سبحانه وتعالى؟!، وأين هم من قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٤).

قال السعدي رحمه الله: «يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمّت مواهبه أهل الأرض والسموات، وعمّ لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشئون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدبيره التي قدرها في الأزل وقضاها،

(١) تفسير الكريم الرحمن (١/ ٨٢٣).

(٢) قرأت على العديد من المراجعين الذين يشتكون من السحر الأسود أو السحر المرشوش أو سحر التعطيل ولم يظهر لي عليهم شيء من القرائن التي تدل على أثر السحر - على حد علمي -، والله أعلم، انظر: (ص ١٣٣).

(٣) سورة البقرة، (آية: ١١١).

(٤) سورة الرحمن، (آية: ٢٩).

لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته»^(١).
وكانت العرب تُكنّي الشخص المصاب بالسكر وتقول: فلان به طب أو مطبوب تفاؤلاً بالشفاء.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: أَشْعَرَتِ يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوبٌ، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق، قال: فيما ذا؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطَةٍ وجُفٍّ طُلْعَةٍ ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان قال: فذهب النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخلٌ، ثم رجع إلى عائشة فقال: والله لكان ماءها نقاعة الحنّاء، ولكأنّ نخلها رؤوس الشياطين قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: لا، أمّا أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شرّاً وأمر بها فدفنت»^(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: (يقال رجلٌ مطبوبٌ أي مسحورٌ...
قال أبو عبيد: إنما قالوا للمسحور: مطبوبٌ، لأنهم كنّوا بالطب عن السحر، كما كنّوا عن اللديغ، فقالوا: سليمٌ تفاؤلاً بالسلامة، وكما كنّوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها، فقالوا: مفازةٌ تفاؤلاً بالفوز من

(١) تفسير الكريم الرحمن (١/ ٨٣٠).

(٢) أخرجه البخاري، برقم (٥٧٦٦).

الهلاك. ويقال: الطب لنفس الداء^(١).

والفأل يدخل على المريض السرور، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « لا طيرة، وخيرها الفأل » قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: « الكلمة الصالحة يسمعونها أحدكم »^(٢).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «أما العلاج للسحر فيعالج بالرقى الشرعية والأدوية النافعة المباحة. ومن أنفع العلاج علاج المسحور بقراءة الفاتحة عليه مع النفث، وآية الكرسي، وآيات السحر في سورة الأعراف، وسورة طه، وبقراءة ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُوهَا﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات مع الدعاء الصحيح المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ لعلاج المرضى وهو:

«اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً»^(٣) ويكرر ذلك ثلاثاً.

ويدعو أيضاً بالرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ وهي: «باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفسٍ أو عين حاسدٍ الله يشفيك باسم الله أرقيك»^(٤) ويكررها ثلاثاً، وهذه الرقية من أنفع العلاج بإذن الله سبحانه.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٢٦)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الطيرة، رقم (٥٧٥٤)، (٧ / ١٣٥)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، رقم (٢٢٢٣)، (٤ / ١٧٤٥).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ برقم (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم (٢١٩١) كما أخرجه البخاري من حديث أنس برقم (٥٤١٠).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقية برقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

ومن العلاج أيضاً إتلاف الشيء الذي يظن أنه عُمِل فيه السحر من صوف أو خيوط معقدة أو غير ذلك مما يظن أنه سبب السحر، مع العناية من المسحور بالتعوذات الشرعية، ومنها التعوذ: «**بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»^(١). ثلاث مرات صباحاً ومساءً، وقراءة السور الثلاث المتقدمة بعد الصبح والمغرب ثلاث مرات، وقراءة آية الكرسي بعد الصلاة وعند النوم.

ويستحب أن يقول صباحاً ومساءً: «**بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**» ثلاث مرات^(٢)، لصحة ذلك كله عن النبي ﷺ، مع حسن الظن بالله والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأنه هو الذي يشفي المريض إذا شاء، وإنما التعوذات والأدوية أسباب، والله سبحانه هو الشافي، فيعتمد على الله سبحانه وحده دون الأسباب، ولكن يعتقد أنها أسباب إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها المنفعة، لِمَا له سبحانه من الحكمة البالغة في كل شيء، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه ولي التوفيق^(٣).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء...

برقم (٢٧٠٨)، من حديث خولة بنت الحكيمة السلمية رضي الله عنها.

(٢) أخرجه من حديث عثمان بن عفان أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول: إذا أصبح برقم

(٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح

برقم (٣٣٨٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) مسائل في العقيدة وصفة الوضوء وصفة صلاة النبي ﷺ والتحقيق والإيضاح لكثير من مسائل

الحج والعمرة والزيارة، لساحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - (ص ٢١).

وقفات حول رؤية الجن بين الحقيقة والوهم

لم يُؤثر - فيما أعلم - عن أحد من السلف - رحمهم الله - أنه رأى الجن على هيئتهم التي خلقهم الله ﷻ عليها كما جاء وصفهم في الكتاب والسنة، وقد تضافرت الأدلة الشرعية على أنه لا يمكن رؤية الجن على هيئتهم الحقيقية في الحياة الدنيا.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن رُدَّتْ شهادته، وعُزِّرَ لمخالفته لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ بَرَكاتُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(١)، إلا أن يكون الزاعم نبياً^(٢).

وقال تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٢) حياة الحيوان للدميمري (١/ ١٩١).

(٣) سورة الصافات: (آية ٦٤)، قال النحاس رحمه الله: «ليس ذلك معروفاً عند العرب، وقيل: هو شجر خشن متن مر منكر الصورة يُسمى ثمره رؤوس الشياطين»، (تفسير القرطبي، جامع أحكام القرآن) (٨٧ / ١٥)، وقال الحسن البصري رحمه الله: «ثمرها وما تحملها»، قال الشوكاني: «كأنه في تناهي قبحه، وشناعة منظره رؤوس الشياطين، فشبه المحسوس بالمتخيل، وإن كان غير مرئي للدلالة على أنه غاية في القبح كما تقول في تشبيهه من يستقبحونه: كأنه شيطان، وفي تشبيهه من يستحبونه كأنه ملك، كما في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، (فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٥٦)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ مَنَوَاتٌ أَلَمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣]. ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعني: الموت، شاهدتموه وقت لمعان السيوف وحدّ الأسنة واشتباك الرماح، وصفوف الرجال للقتال. والبلاغيون يعبرون عن هذا بالتخييل، وهو مشاهدة ما هو ليس بمحسوس كالمحسوس، تفسير ابن كثير (٢/ ١١٦)، بتصرف، «فالشيطان عند العرب لما كان الغاية في القبح والملك والملاك لما كان الغاية في الجمال والحسن والأخلاق، والغول لما كان غاية في إدخال الرهبة والهلع والخوف إلى القلوب، كانت لهذه الألفاظ معانٍ متصورة في أذهانهم ومتخيّلة، لذلك تجد أن من يريد أن يرسم الشيطان أو يصوره جاء به على أقبح ما يكون وأشد ما يكون شناعة مما يتخيّله في ذهنه، بخلاف من أراد رسم الملاك أو تصويره، فإنه يأتي به على أحسن ما يتخيّله ويتصوره في ذهنه، وكذلك الأمر في الغول يأتي به من يريد تصويره ورسمه

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا تَحْرَوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنِي الشَّيْطَانِ »^(١). وثبت في الكتاب والسنة أن الجنّ لهم القدرة بإذن الله على التمثّل بشكل الإنسان والحيوان وقد أخبر ﷺ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن (الكلب الأسود شيطان)^(٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (جاء إبليس يوم بدرٍ في جنْدٍ من الشياطين معه رايته في صورة رجلٍ من بني مدلج في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشرّكين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم، فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من التراب، فرمى بها في وجوه المشرّكين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجلٍ من المشرّكين، انتزع إبليس يده، فولى مدبراً هو وشيعته، فقال

على أشد ما يكون تخويفاً في ذهنه. وسمّي هذا التشبيه وهمياً لأن هذه الصورة الذهنية موجودة في أوهامهم وتخيلهم، بغض النظر عن وجودها في الخارج أو عدمه، فقد ذكرنا فيما سبق أن الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، فهي إذن متصورة في الوهم ومتخيّلة ومُدركة، سواء أكان لها وجود في الخارج أم لم يكن لها وجود. وقولك في وصف رجل غني «هو جبل من ذهب» أو في وصف حصان سريع «هذا حصان يطير بجناحين» أمر متخيّل موهوم لا وجود له في الواقع الخارجي أو الواقع الموضوعي، ومع ذلك فهو متصور في الذهن ومعهود له، لِمَا في العقل من قدرة على التركيب والتجزئة والتخيّل، فالجبل والذهب والحصان والأجنحة مفردات مدركة معروفة معانيها، ولها وجود في الذهن والخارج، أما «جبل من ذهب» و«حصان بجناحين» فصورة مركّبة لا وجود لها إلا في الذهن فقط، وقد يضع لها الإنسان لفظاً خاصاً بها ويدلّ عليها مع أنه لا وجود لهذه الصور إلا في الذهن فقط. وعليه فإن هذه الألفاظ ومعانيها معهودة للعرب ومعروفة لهم، فلا يقال إن القرآن خاطبهم بما لا يعرفون، وجاءهم بتشبيهات لا عهد لهم له. والله أعلم، ملتقى أهل التفسير، باب تهافت القول بالإعجاز العلمي». والغول في لغة العرب: الجان إذا تبدّى في الليل.

تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٢)، ومن صور تشبيه المحسوس بالتخيّل كذلك قول عنتره:

لَا أَبْعَدُ اللَّهَ عَنْ عَيْنِي غَطَارِفَةً... إِنْسَاءً إِذَا نَزَلُوا جَنًّا إِذَا رَكِبُوا

(١) ينظر: صحيح مسلم (١ / ٥٦٧).

(٢) رواه مسلم: (١ / ٥١٠) رقمه (٥١٠).

الرجل: يا سراقه تزعم أنك لنا جائر؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، وذلك حين رأى الملائكة^(٢).

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، أنه قال: كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر فقلت: لو أني اغتنمت هذه الليلة شهود العتمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أبصرني ومعه عرجونٌ يمشي عليه.

فقال: ما لك يا قتادة هاهنا هذه الساعة؟ فقلت: اغتنمت شهود الصلاة معك يا رسول الله فأعطاني العرجون فقال: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك، فاذهب بهذا العرجون، فأمسك به حتى تأتي بيتك، فخذ به من وراء البيت فاضربه بالعرجون»، فخرجت من المسجد، فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به، فأتيت أهلي فوجدتهم رقودا، فنظرت في الزاوية، فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج^(٣). وهذا من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم.

فقد ثبت في صحيح البخاري حديث أبي هريرة قال: وكَلَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت: يا رسول الله، شكّا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخلّيت سبيله، قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة،

(١) سورة الأنفال: (آية ٤٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (١١ / ٢٢١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٩) (١٩ / ٥)، صححه الألباني في الصحيحة (٣٠٣٦).

قال: فخلّيت عنه، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت : يا رسول الله، شكّا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخلّيت سبيله، قال : (أما إنه قد كذبك وسيعود) فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات، تزعم أنك لا تعود ثم تعود، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(١) حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله، قال: ما هي ؟ قلت: قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(٢) . وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة ؟) قلت: لا . قال (ذلك شيطان) ^(٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والجنّ يتصوَّرون في صورة الإنس والبهائم فيتصوَّرون في الحيّات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والخيول والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم) ^(٤) .

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٥٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجل فترك الوكيل شيئاً فأجازته الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز رقم (٢٣١١)، (١٠١ / ٣).

(٤) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، (ص ٣٢).

الوقفه الأولى: حول وهم رؤية الجن

يتضح لنا من خلال النصوص السابقة: أن عالم الجنّ عالم غير مرئي، وليس لأحد القدرة على تمييز الجانّ المتمثل في هيئة إنسان ما... أو حيوان ما...، حينما يظهر بصورة أحدهما بعد وفاة رسول الله ﷺ، وانقطاع الوحي. وعليه فإن الشخص الذي يزعم أنه يرى الجانّ سواء تمثل على هيئة إنسان ما... غير ملموس، أو تمثل على شكل حيوان ما... غير ملموس، ولا يراه أحد غيره، فقد يكون هذا الشخص مريضاً ذهانياً كالذي ذكره^(١) شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في تصوير البَلَه^(٢) وإن اختلفت مسمّيات الأمراض النفسية في هذا الزمن كالذهان، ومنها: الفصام، كما يعرف بمصطلح الطب النفسي، وذلك حينما ذكر رحمه الله حال النائم إلى أن قال: وهذا كالذي يرى صورته في المرأة أو صورة غيره فإذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى إنه يفعل به ما يفعل بالشخص. وهذا يقع للصبيان والبُلَه^(٣) كما يخيّل^(٤) لأحدهم في الضوء^(٥) شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة^(٦) ولا يعلمون أنه خيال^(٧).

(١) وذكره كذلك ابن القيم رحمه الله، انظر الحاشية: (١٣٠).

(٢) بَلَه: ضعف العقل وقلة التمييز، درجة أقل من الجنون، تأخر النمو العقلي والإدراك، (القاموس الطبي العربي، د. عبدالعزيز البلدي) (ص ١٩٤).

(٣) البُلَه: صيغة جمع ومفردا بَلَه.

(٤) الخيال إحدى قوى العقل التي يتخيّل بها الأشياء (ص ١٢٢).

(٥) انعكاس الظل.

(٦) كما قال ابن القيم رحمه الله: «ومعلوم قطعاً أن هذه المتخيّلات لا حقيقة لها في ذاتها، وإنما الذهن يفرضها تقديراً وليس منطبعة في النفس، فإن العلوم الخارجية لا تنطبع صورها في النفس»، انظر: كتاب الروح لابن القيم: (ص: ٢٥٤)، وكثيراً ما نسمع على لسان الأطباء النفسيين كلمة «ذهان» وكأن هذا المصطلح النفسي يُروى عن علماء الغرب، وقد يكون أحدهم أخذها من هذا العالم الرباني، وكم استفادوا من علماء المسلمين، والله المستعان.

(٧) مجموع الفتاوى (٤٣/٧).

الوقف الثانية : حول أثر تعاطي المخدرات

ربما يجهل بعض الناس علاقة تعاطي المخدرات باختلال العقل؛ خصوصاً عندما تظهر الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة على مرضى الإدمان - هداهم الله وعافاهم - حينما يخيّل لبعضهم أنهم يرون جنّ أو أشخاص، دون أن يراهم غيرهم، ويسمعون أصوات دون أن يسمعها غيرهم^(١)، وقد تظهر عليهم في أثناء الاستمرار على التعاطي وقد تختفي عند الإقلاع، فيغلب على ظن أقاربهم أو من حولهم بأنهم مصابون بتلبس الجنّ أو السحر أو العين، وقد لاحظت على الكثير من مرضى الإدمان بأنهم يتوهّمون إصابتهم بتلبس الجنّ أو السحر أو العين^(٢).

فقد يوافقني على كلامي هذا أدنى معالج يعمل في مجتمعات إرادة والصحة النفسية، فضلاً عن الأطباء النفسيين، وذلك لتكرار مثل هذه الحالات لديهم.

الخلاصة عن الكلام حول الخيالات البصرية والأصوات الوهمية:

الذي يظهر لي - والله أعلم - أن غالب من يكثر الشكوى من رؤية متكررة لأشخاص أو أشباح أو جنّ، أو حيوانات غير ملموسة، أو يسمع

(١) كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله انظر: (ص ١١٩)، وكذلك ابن القيم رحمه الله، انظر (ص ١٣٠)، فرحم الله شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم عندما تحدثوا عن هذه الأمور من الأمراض النفسية فنجد أنهم سبقوا علم النفس المعاصر في ذلك بقرون عديدة، ذلك لأن علمهم وتقريراتهم وتأصيلهم الأشياء مستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والتجربة الصحيحة.

(٢) ذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٢٥).

أصواتاً مزعجة ومختلفة كمنبه هاتف، أو منبه سيارة، أو صوت تشويش مذياع، أو صوت راديو، أو يسمع صوتاً كرنين الحديد، كما يحدث للأواني المنزلية حينما يضرب بعضها ببعض، أو يسمع شخصاً يكلمه ويأمره بفعل كذا وكذا، أو يسمع صوت صفير أو كحة إنسان أو هاتف يهتف أنت مجنون ونحوه، بصفة مستمرة ويتصور أنه مضطهد أو أن أحداً يطارد، أو أن مؤامرة تُحاك ضده، فإنه غير مصاب بتلبس الجن أو السحر، والدلالة على ذلك أن هذه الخيالات البصرية^(١) والأصوات الوهمية^(٢) تختفي إلى حد كبير عند بعض المرضى في أثناء ما يصرف الطبيب النفسي مضادات الذهان للمريض النفسي دون رقية، لكنها سرعان ما تظهر عندما يترك المريض العلاج.

بينما الخيالات بأنواعها عند بعض المصابين بتلبس الجن أو السحر لا تكاد تظهر، ونادراً ما يرى إنساناً أو حيواناً، أو يلمح خيالاً كالظل، أو يسمع صوتاً ينادي باسمه أو كأن أحداً يهمس في أذنه بكلام غير مفهوم، أو يسمع صوت نباح كلاب ونحوه، فتظهر له الأصوات المسموعة أحياناً بصفة متقطعة وفي أوقات مختلفة ومتباعدة حتى في الحالات المزمنة منها، لكنها تتلاشى في الغالب مع الرقية وتذهب بلا عودة بإذن الله، والله أعلم.

(١) كما ذكر شيخ الإسلام رحمته الله: عن فساد الإدراك، كما يتخيل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج، انظر: (ص ١٢٣).

(٢) للمزيد: انظر عنوان نظرة حول الخيالات البصرية والأصوات الوهمية في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤٩).

وقفه حول أثر الوهم

يعرف الوهم: بأنه من خطرات القلب، والجمع أوهام، وللقلب وهم. وتوهم الشيء: تخيله وتمثله، كان في الوجود أو لم يكن. وقال: توهمت الشيء وتفرستته وتوسمته وتبيته بمعنى واحد؛ قال زهير في معنى التوهم: وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأياً عرفت الدار بعد توهم ويُقال: وهمت في كذا وكذا أي غلطت

وأما الوهم: فانقياد النفس لقبول أثر ما يرد عليها من قولهم: حمل وهم، وطريق وهم، والفرق بينه وبين الخاطر أن الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس، والوهم لا يقال إلا فيما تقبله النفس^(١).

وأما «(الخيال) الشخص، والطيف، وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صورة، وصورة تمثال الشيء في المرأة، ومن كل شيء ما تراه كالظل، وخشبة ينصب عليها كساء أسود في المزروعات يفرع بها الطير وفي مراض الغنم يفرع بها الذئب وما نصب في الأرض ليعلم أنه حمى فلا يقرب، وإحدى^(٢) قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء»^(٣).

وقد ضرب الله - ﷻ - في كتابه العزيز أروع الأمثلة على السعي وراء

الوهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢ / ١٠٦٠).

(٢) لا يزال الكلام عن الخيال.

(٣) المعجم الوسيط (١ / ٢٦٦).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو مثلُّ ضربه الله لرجلٍ عطش فاشتد عطشه، فرأى سراباً، فحسبه ماءً، فطلبه، وظن أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئاً، وقبض عند ذلك، يقول الكافر كذلك، يحسب أن عمله مُعْنٍ عنه، أو نافعه شيئاً، ولا يكون آتياً على شيءٍ حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتدُّ إلى السَّراب)^(١).

ويُستنتج من هذه الآية الكريمة علاقة الوهم وتأثيره على اختلال العقل بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بالإنسان.

فمن المعروف أن السراب لا يتحوّل إلى ماء في نظر الإنسان المدرك الذي لم يكابد شدة العطش، بل يعلم يقيناً أنه خداع بصري، بينما السراب يتحوّل إلى ماء في عين الإنسان الذي غاب عنه عقله من شدة العطش.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الحس إن لم يكن مع صاحبه عقل وإلا فقد يغلط»^(٢).

وفي هذا أيضاً دلالة على أن المريض قد يفقد الإدراك على قدر معاناته من شدة المرض، فيرى بعض الأشياء على غير حقيقتها وتتعلق نفسه على أدنى بصيص أمل في طلب العلاج، فينساق وراء الوهم!

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مرض البدن: خلاف صحته وصلاحه وهو فساد يكون فيه، يفسد به إدراكه وحركته الطبيعية، فإدراكه إما أن يذهب كالعمي والصمم، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه،

(١) تفسير الطبري، جامع البيان (١٩/١٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧/٤٣).

كما يدرك الحلو مرأً، وكما يتخيّل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج»^(١).
 فمن الأسباب المعينة على الشفاء - بإذن الله تعالى - تناسي المريض لمرضه:
 كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «ثم إنه إذا صبر على المرض وتناسى الأمر
 حصل له برؤ منه، لأن الوهم النفسي له تأثير في بقاء المرض وزيادة المرض،
 فإذا رفض الإنسان هذا المرض وصار لا يفكر فيه، فإنه بإذن الله سوف
 يشفى»^(٢).

ومن الفوائد التي ذكرها ابن القيم رحمته الله نعمة النسيان على الإنسان حيث قال:
 «ومن أعجب النعم عليه نعمة النسيان، فإنه لولا النسيان لما سلا شيئاً ولا
 انقضت له حسرة، ولا تعزى عن مصيبة، ولا مات له حزن، ولا بطل له حقد،
 ولا تمتع بشيء من متاع الدنيا، مع تذكر الآفات، ولا رجاء غفلة عدو، ولا
 نقمة من حاسد»^(٣).

وهذه قصة حول هذا الموضوع:

حدثني أحد الزملاء عن قصة حصلت لوالدته حينما اشتكت لأخيه من
 وعكة صحيّة، وأنا هنا أذكرها بأسلوبه:
 فقال: طلبت منه والدتي ماء قد قرئ فيه شيء من القرآن مع النفث من
 أحد الرقاة.

يقول أخي: فخرجت لقضاء بعض الحاجة في طريقي إلى الراقي فلم أشعر
 بنفسي حتى رجعت وترك منزله بعيداً وراء ظهري وتذكرت حاجة والدتي

(١) مجموع الفتاوى (٩٢/١٠).

(٢) اللقاء الشهري لابن عثيمين الجزء ٣٧ (ص ٢٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/٢٧٧).

حينما شارفت على منزلنا، فما كان منّي إلا أن اشترت عبوة ماء من محل تموينات وفتحتها ثم أغلقتها ولم أخبر والدتي بما حصل، فلما انتهت إليها ناولتها عبوة الماء فشربت منها حتى ارتوت ثم قالت: الحمد لله عافاني الله؟^(١).

ويقول الشيخ الدكتور عبدالرحمن السند: «وأما ابتداع طرق في الرقية منها:

- استغلال حاجة الناس ببيعهم الوهم، مثل: قيام أحدهم ببيع (كريم الجسم)، وكتب عليه: (يساعد على إزالة أثر العين والحسد والمس، ويطرده الوسواس والكوابيس الليلية، ويخفف الاكتئاب النفسي)، وقيام آخر ببيع (ملح) مخلوط ببعض المواد، ويدّعي أنه يفيد في علاج العين، والسحر، والتضييق على مجاري الشيطان، وإصابات العين والسحر في المنازل والممتلكات...

- إدخال الوهم والخوف على المرضى، ومن ذلك أن أحد الرقاة أخبر فتاة حضرت مع أخيها المريض أنها مسحورة، وأن أخاها الآخر وأمّها مسحوران^(٢)، ولابد من إحضار الجميع للرقية^(٣).

ومن صور إدخال الوهم على المراجعين كذلك حث بعض الرقاة المراجعين على مواصلة جلسات أخرى قد تصل إلى عدة أسابيع أو شهور إلى

(١) كتاب أحكام الرقية الشرعية (ص ٨٤، ٨٦).

(٢) قلت: صنع هذا الراقي حوله الزحام بهذه الطريقة - لاسيما تشخيص الغائب وذلك دون أن يقرأ على أخيها ووالدتها، فيتضح له شيء من القرائن التي تدل على السحر في أثناء الرقية. انظر: فتوى الشيخ ابن باز رحمته الله (ص ١٣٥). وكذلك من سلك مسلكه من بعض الرقاة، والله المستعان، وللمزيد انظر كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٠١).

(٣) كتاب أحكام الرقية الشرعية (ص ٨٤، ٨٦).

أن يستحكم الوهم عليهم.

فقد ورد سؤال لسماحة المفتي صالح الفوزان - وفقه الله - ما نصه: «س: يقول بعض الرقاة إن هناك بعض المواد تطرد الجن من بدن المريض مثل جلد الذئب، وبعض النباتات إذا شَمَّها المريض وحجتهم أنها علاج، والعلاج ثبت في التجربة نجاحه؟!»

ج: هذه شعوذة ولا تجوز.. اتخذ الذئب الحيّ أو شيء من جلده أو غيره.. هذا كله من الشعوذات ولا أصل له، ولا يجوز هذا وربما يؤول إلى الشرك والاعتقاد في الذئب أنه يشفي أو غيره.. هذا لا يجوز ولا الأعشاب لم يرد فيها شيء خاص أنها تطرد الجن، هذا غير صحيح. هذا لا يُقال فيه إلا بدليل لا يُقال التجربة. الذي عنده دليل على أن الأعشاب تطرد الجن يأتي بالدليل الصحيح^(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «كثير في هذه الآونة الآخرة أوهام الناس وتخيُّلات بأن ما يصيبهم فهو عين أو سحر أو جن حتى لو يصاب بعضهم بالزكام قال: إنه عين أو سحر. وهذا غلط، أعرض أيها المسلم عن هذا كله، وتوكل على الله واعتمد عليه ولا توسوس به لأن الإنسان متى جعل على باله شيئاً شغل به، وإذا تغافل عنه وتركه لم يُصَبْ بأذى»^(٢).

ومن لطائف وطرائف الدكتور محمد لطفي الصبَّاح هذه القصة، يقول: «وعلى الطبيب أن يكون لبقاً مع مرضاه، متلطفاً بهم، فلا يقول لهم ما يوهنهم أو يوقعهم في اليأس.

(١) الرقية الشرعية ضوابطها ومحاذيرها (ص ٥٦، ٥٧).

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين الجزء الثاني (ص ٤).

حدثني شيخنا الشيخ زيد العابدين التونسي رحمه الله أنه كان له صديق طيب، فمرّ به زائراً لا مُستطباً. فقال له الطيب: أريد أن أفحصك لأطمئن عن صحتك... فقال: جزاك الله خيراً، لك ما تريد ولك الفضل. وبعد أن (عائنه) قال له: يا سيدي وضعك في متهى الخطورة، وأشار له بيده إشارة معينة.

قال الشيخ: والله لقد انقطع قلبي بها، ثم قدّم له مجموعة من الأدوية بعضها قبل الأكل، وبعضها بعد الأكل، وقال: إني أرجو أن أراك بعد أسبوع. خرج الشيخ من عيادته ورجلاه لا تحملانه... ثم قال لنفسه: إنني أدرى بنفسي وإني والله بخير، فرمى بالأدوية جانباً، ولم يعدّ لبيته، لأنه خشي أن عرف أهله ما قال له الطيب الصديق أن يوهموه على نفسه، بل قام برحلة زار فيها حمص وحماة وحلب واللاذقية وطرابلس وبירות، وعاد إلى دمشق معافى نشيطاً.

إن هذا الطيب أراد أن يحذّر صديقه وينصح له، ولكنه لم يكن لبقاً ولا متلطفاً... ولولا أن الشيخ قاوم ترهيب ذاك الطيب لكان حقاً من المرضى... لأن للحالة النفسية للإنسان تأثيراً في الحالة الجسميّة.

وعليه أن يراعي نفسية المريض، ويلجأ إلى الأساليب التي تعين على التخلص من الأوهام، فكثير من المرضى يكونون من المصابين بوهم المرض^(١).

(١) أخلاق الطيب، تأليف الدكتور: محمد بن لطفي الصباغ، (ص ٧٣).

وقفة حول العلاج بالتخييل

أُستعمل العلاج بالتخييل منذ القدم، وحُكمه في الشريعة الإسلامية الجواز^(١)، وهو من رخصها السمحة التي لا ضرر على أحد فيها ولا هضم لحق أحد فيه، وهو تصوير غير حقيقي لمصلحة المريض ينتفع به بإذن الله.

فالتخيّل والتخييل من خصائص الإنسان^(٢)، وهو من نعم الله عليه، وهو أحد أنواع العلاج، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله من وصف الطبيب الحاذق في الأمر التاسع عشر: أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين^(٣).

والمعالج الحاذق الذي لديه مهارة في التعامل مع المرضى وممارسة في العلاج بالتخييل يستطيع - بإذن الله - أن يدفع ما لدى المريض من الوهم بضده دون أن يصل إليه الدواء كما ذكر ابن القيم رحمه الله.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «الانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان؛ فأحياناً يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحياناً يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحاً؛ فانفعال النفس بالشئ له أثره البالغ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل

(١) والتعريض بالكذب على المريض النفسي يجوز، لما فيه المصلحة له، وللإمام النووي رحمه الله كلام فيها يجوز ويباح من الكذب للمصلحة، ذكر ذلك في كتابه: «رياض الصالحين»، و«الأذكار» في بيان ما يجوز من الكذب (ص ٥٩٢).

(٢) الخيال: إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء. انظر: (ص ١٢٢).

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٢٠٦).

إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتى يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا؛ فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة»^(١).

ومن صور العلاج بالتخييل هذه القصة الطريفة حول هذا الموضوع التي ذكرها الشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمته الله:

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمته الله عن الشيخ الخضري رحمته الله: أصيب في أواخر عمره بتوهم أن في أمعائه ثعباناً، فراجع الأطباء، وسأل الحكماء، فكانوا يدارون الضحك حياءً منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود، ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدق. حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب، بصير بالنفسيات، قد سمع بقصته، فسقاه مسهلاً، وأدخله المستراح، وكان وضع له ثعباناً، فلما رآه أشرق وجهه، ونشط جسمه، وأحس بالعافية، ونزل يقفز قفزاً، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه، يلهث إعياء، ويئن ويتوجع، ولم يمرض بعد ذلك أبداً، قال الشيخ علي الطنطاوي: «ما شفي الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار»^(٢).

وهذه الطريقة التي سلكها هذا الطبيب تدل على موافقتها لكلام ابن القيم رحمته الله الذي تقدم ذكره عن العلاج بالتخييل^(٣).

ومما يذكر هنا أن فوائد العلاج بالتخييل لا تعمم على سائر المرضى. حيث تؤكد الدكتورة صهباء بندق قائلة: «ويبقى أن نؤكد أن هذه الطريقة العلاجية - التخييل - كغيرها من طرق الطب البديل، لا يمكن

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (ص ١١٠).

(٢) صور وخواطر، للشيخ علي الطنطاوي، (ص ١٥).

(٣) انظر: (ص ١٢٨).

تعميمها على جميع المرضى، إذ قد تناسب بعض المرضى^(١) ولا تناسب غيرهم^(٢)، كما تختلف استجابة كل إنسان عن غيره فليس من الممكن معالجة جميع الحالات المرضية بواسطة التصوّر الذهني^(٣).

شبهة والجواب عنها:

شاع في الآونة الأخيرة لدى بعض الأفراد من الرقاة الذين يقرؤون على المرضى طريقة مستحدثة وليست مذكورة في كتاب الله ولا سنة رسوله محمد ﷺ، ولا عُرِفَتْ عن سلف هذه الأمة - فيما أعلم - مع أن صفتها سهلة، وصفتها أن يقول الراقي للمريض: اغمض عينيك، وتحَيَّلْ مَنْ سَحَرَكَ أو مكان سَحَرَكَ، أو من عانك، وسمعت من بعض الأشخاص أنه يعزو هذه الطريقة للإمام ابن القيم رحمه الله، ولم أقف على هذه الطريقة في مظانها من كتبه

(١) كما ناسبت تلك الطريقة التي استخدمها الطبيب مع المريض الذي كان يتوهم الثعبان في بطنه. انظر: (ص ١٢٩)، وذكرت قصة حول هذا الموضوع في كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٧) ..

(٢) بينما هذه الطريقة العلاجية قد لا تجدي مع بعض المرضى، وخصوصاً مرضى الذهان ممن استحكم على عقولهم إيجاء تلبس الجن فترة من الزمن، فقد تظهر لهم الخيالات البصرية والأصوات الوهمية بصورة حقيقية بالنسبة لهم، أما بالنسبة لغيرهم فلا يرونها ولا يسمعونها، كما وصف ابن القيم رحمه الله الحالة النفسية للفرقة المتصوّفة إلى أن قال: «فتتشكل تلك المعاني للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة، وللقوة الباصرة بشكل الأشخاص المرئية، فيرى صورها، ويسمع الخطاب، وكله في نفسه ليس في الخارج منه شيء، ويحلف أنه رأى وسمع، وصدق» [مدارج السالكين (١/ ٤٧)]، ولهذا ينبغي أن لا يكذب مريض الذهان بما يرى ويسمع، ولن يجدي الحوار معه، فربما يكون فقد الإدراك، فعلى الراقي المعالج أن يوجّه أسرته بمراجعة الطبيب النفسي مباشرة، والله أعلم، للمزيد: انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤٨).

(٣) مذكورة بعنوان: مجموعة من المقالات حول العلاج بالتصوّر والتخيّل.

ومؤلفاته رحمه الله، غير أنه ذكر العلاج بالتخييل.

والجواب عن هذا من وجوه:

أولاً: أن سياق كلام ابن القيم رحمه الله ليس للراقي ولم يذكر فيها.

ثانياً: أن كلام الإمام ابن القيم رحمه الله مقيد «بُحْدَاقِ الْأَطْبَاءِ» والراقي لا يوصف بهذا.

ثالثاً: هذه الطريقة لو كانت جائزة لكان المريض يعملها بنفسه بدون راقٍ.

رابعاً: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن سحر لا يعلم أنه مسحور حتى أتاه الوحي فأخبره عن السحر ومكانه، فكيف بمن يزعم بأن هذه الطريقة تكشف السحر أو العائن الذي عان المقروء عليه في أثناء الرقية؟! ^(١)

ونظراً لخطورة هذه الطريقة على العقيدة وما ينتج عنها من فتنة بين الناس فقد صدر في ذلك فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز - غفر الله له - ولجميع المسلمين، بمنع هذه الطريقة والتحذير منها:

«جاء في الفتوى رقم ١٩٨٨٥: س: عند قراءة القرآن على المريض وهو مغمض العينين وفي كامل وعيه، فإنه يرى من سحره أو الساحر أو مكان السحر، أو العائن، فسؤالنا: هل يعتبر هذا الأمر اطلاع على الغيب أم لا؟

الجواب: رؤية المريض لمن سحره أو الساحر أو مكان السحر أو العائن عند قراءة القرآن عليه لا يعتبر من الاطلاع على الغيب، ومن اعتقد أنه يعلم الغيب بسبب ذلك فهو كافر؛ لأن علم الغيب من اختصاص الله سبحانه، فلا يعلم به أحد من خلقه إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من ملائكته ورسله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا

(١) انظر: (ص ١١٢).

اللَّهُ ^(١)، وقوله سبحانه وتعالى: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾** ^(٢)، وما يحدث للمريض من هذا النوع هو من تأثير الشياطين وخداعهم لبني آدم، وإنما يحصل ذلك بسبب استعانة القُراء بالجن، وإن كانوا يتظاهرون بقراءة القرآن والحديث الشريف للتضليل والتليس على الجهلة والعوام والسُّدَج وإيهامهم بأن قراءتهم نافعة، فيسلبون أموالهم ويستغلونهم لمصالحهم وشهواتهم، وهم في الحقيقة من الكهنة والعرافين، وإن صدقوا في ذلك أحياناً وصار الواقع كما رآه المريض فلا ينبغي له أن يركن إليه وينخدع به ويعتقد صحته ويتم الناس بمجرد ذلك، إذ إن ذلك لا حقيقة له ولا أصل له في الشرع، بل هو من تأثير الجن كما سبق، ونصحك أن لا تلتفت لأوهام قد تؤثر عليك في عقيدتك وتكون سبباً في قطيعة رحمك وإيذاء الناس، وأن تلجأ إلى الله تعالى وتستغيث به وحده في كشف ضررك، ولا ترجو إلا الله ولا تتعلق إلا به وحده، وأن تعالج نفسك بالرقى والأدعية الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن تتعاطى من الأدوية المباحة ما يكون سبباً في شفائك - بإذن الله -.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ^(٣).

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس
بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) سورة النمل: (٦٥).

(٢) سورة الأنعام: (٥٩).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية (ص ١١٢ - ١١٤).

وقفة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجن أو السحر

أو العين وبين المريض النفسي وغير المريض في أثناء الرقية

لا يظهر أي تفاعل على المريض النفسي أو غير المريض في أثناء الرقية في الغالب - والله أعلم - ما عدا الحركات الإرادية على المريض النفسي مثل إحياء تلبس الجن أو السحر^(١) وكذلك عدم ملاحظة أي إجهاد بدني حتى بعد الرقية سوى الراحة والاستقرار من جراء سماع القرآن وهذا يشترك فيه جميع المرضى وغير المرضى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

هذا بخلاف التفاعل والحركات اللاإرادية في أثناء الرقية التي تعترى المصاب بتلبس الجن أو السحر^(٣) أو العين^(٤) كالصراخ أو التخبُّط أو التجشؤ أو البكاء أو التقيؤ أو الإغماء أو الصرع الذي يرديه أرضاً، بالإضافة إلى الإجهاد البدني الذي يعيق المريض عن النهوض لمدة تتراوح ما بين خمس دقائق إلى عشرين دقيقة بعد الانتهاء من الرقية في الغالب، وربما ابتلَّ جسمه بالعرق.

أما بالنسبة للمريض المصاب بصرع الأخطا وهو ما يُسمَّى في هذا الزمن بالصرع العصبي فلا يتأثر في أثناء الرقية غالباً، فقد تباغته نوبة

(١) انظر كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٦٣).

(٢) سورة الأنفال: (آية ٢).

(٣) أو ينطق الجان المتلبس بالمسحور على لسانه بمكان السحر على أن يتوافق كلامه مع الواقع. انظر: ص (١١٣).

(٤) انظر: قرائن الإصابة بالعين في أثناء الرقية (ص ١٠٤).

الصرع في أي لحظة، سواء كانت قصيرة نوعاً ما أو طويلة، فيسقط حينئذ وقد يتشنج، وقد يصاحبها حالة إغماء، وربما تبول على نفسه، أو يصبح جسمه كتلةً واحدةً، أو يشخص بصره، وقد يخرج من فمه رغوة أو زبد - في الغالب -^(١).

فالعلاقة مرتبطة بين الإصابة المزمنة للمصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين وما بين الأمراض النفسية ارتباطاً وثيقاً خصوصاً حينما يغلب المريض المصاب بتلبس الجن أو السحر جانب الرقية على جانب العلاج النفسي.

وكذلك المريض النفسي الذي يغلب جانب العلاج النفسي على جانب الرقية، كما عند أحدهم حينما يصاب بمرض الفصام وتلبس الجن في آن واحد؛ فقد يتحسن بشكل واضح مع الاستمرار على الرقية ماعدا بعض الأعراض الذهانية التي قد تختفي مع العلاج النفسي مثل الخيالات البصرية والأصوات الوهمية^(٢) أو داء العظمة «البارانويا» الذي يتوهم المريض بأنه المهدي المنتظر، أو يتقمص المريض عدداً من الشخصيات البارزة التي تتوأكب مع بيئته.

فربما غلب على ظن أسرة المريض أو بعض الرقاة في مثل هذه الحالات في أثناء الرقية والتحدث مع المريض أنه مصاب بتلبس مجموعة من الجن. فينبغي أن نتنبه إلى بعض الأعراض النفسية المصاحبة لدى المريض النفسي، مثل الخوف المرضي «الفوبيا» الذي ينتج عنه سرعة خفقان القلب وضيق في التنفس دون خلل طبي عضوي كحساسية الصدر أو الربو. فربما هذا الخوف يعترى المريض في أي لحظة سواءً عندما يتعرض

(١) انظر: (ص ٨٤).

(٢) انظر: (ص ١٢١).

لموقف خفيف في مكان ما...، أو نتيجة توتر تحت ضغوط نفسية، أو في أثناء الرقية أو قبلها، خصوصاً بعدما يسمع صراخ من كان قبله من المرضى بداخل غرفة الراقي أثناء الانتظار .

فقد يصاب بنوبة ذعر^(١) وتستمر مع المريض إلى حين مواجهة الراقي مع محاولة استنشاق الهواء بشدة، فيظن المريض حينما يعاني من هذه الأعراض أنها من أثر إصابته بالسحر أو تلبس الجن!

وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله حول القرائن التي تدل على إصابة المريض بتلبس الجن أو السحر أو العين، ما نصه:

س: بعض أئمة المساجد والشيخوخ يقرؤون على الناس بآيات من القرآن والدعاء، فيعلموهم ماذا أصابهم، فبعضهم يقول له: أصابك سحر، وبعضهم يقول: أصابتك عين، إلى غير ذلك من الكلام الذي يقولون، فما حكمكم في هؤلاء، وحكم الذهاب إليهم، وحكم التصديق بهم؟ وهل ما يقولون صحيح؟

الجواب: إذا كان طالب العلم الذي يرقى الناس قد اعتاد علامات يعرفها مما يصيب المسحور، أو علامات يعرف بها العين؛ فلا بأس بذلك، يقرأ عليه ما يَسِّر الله من كتاب الله، كالفاتحة، وآية الكرسي، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، أو غيرها من الآيات، الله جعل القرآن شفاءً من العين، ومن السحر أيضًا، حتى قال ﷺ: لا رقية إلا من عين أو حمة .

قال العلماء: المعنى: لا رقية أولى وأشفى، أو لا أولى وأنفع إلا من عين أو حمة، والعين هي النظرة يسمونها النظرة، هي النفس، والحمة السَّم من

(١) للمزيد: انظر كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٧٢).

ذوات السموم، وقال -عليه الصلاة والسلام:- لا بأس بالرقى ما لم تكن شرًا وقد رقى ورقي -عليه الصلاة والسلام- وأمر أن يُرقى أولاد جعفر وقال: إنها أصابتهم العين قال لأهمهم: إنها أصابتهم العين فأمرها أن تسترقي لهم، فالرقية نافعة من العين .

فإذا كان طالب العلم المعروف بالعقيدة الصالحة أنه جرب هذه الأمور، ورأى أن ما في فلان أنه مما يعرف أنه عين، أو أنه سحر، مسحور، فيتعاطى بعلاج السحر، أو علاج العين، النبي ﷺ قال: العين حق، ولو أن شيئاً سبق القضاء؛ لسبقته العين وقال: «استغسلوا فإذا عرف العائن يُستغسل؛ يطلب منه أن يغسل وجهه، ويتمضمض، ويغسل داخله إزاره، وأطراف يديه ورجليه، حتى يصب على المعين، وهو يشفى بإذن الله، أو يرفع بما يسر الله من القرآن، من الفاتحة، وآية الكرسي، وغير ذلك، والغالب أنه ينفعه ذلك بإذن الله.

وهكذا المسحور يرقى بالفاتحة، وآية الكرسي، وآيات السحر التي في سورة الأعراف، ويونس، وطه، تقرأ في ماء له مع القواقل -قل يا أيها الكافرون، قل هو الله أحد، والمعوذتين- ويشرب منه بعض الشيء، ويغتسل بالباقي، فينفع الله بذلك كثيرًا ممن يصاب بالسحر.

والسحر واقع، يقع كثيرًا، كما قال الله -جل وعلا- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾:

[البقرة: ١٠٢].

فالسحر واقع، كثير من الناس... منه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يغير العقل، لهم فيه أنواع من التصرفات، فيستعينون بالجن والشياطين في ذلك، وقد وقع هذا في عهد موسى -عليه الصلاة والسلام- وقام سحرة فرعون بجمع العصي، والحبال على أعين الناس، وسحروا أعينهم؛ حتى ظن الناس أن هذه العصي وهذه الحبال حيات ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه: ٦٦] فلما ألقى موسى عصاه لقفتها وأخذتها كلها، وعرف الناس بطلان هذا السحر، وخر السحرة سجداً لله تعالى وتابوا وأنبأوا إلى الله .

والمقصود: أن هذا له علاج، فإذا عرف بالعلامات التي اعتادها أنه سحر؛ استعمل الرقية من السحر، وذكر بعض المتقدمين أن من أسباب العلاج، وأن مما يدخل في العلاج: سبع ورقات سدر تُدق وتجعل في الماء أيضاً، وأن هذا أيضاً قد ينفع بإذن الله من أمر السحر.

وهكذا في أمر الرجل الذي يُحبس عن زوجته، ويمنع من زوجته؛ إذا قرئ له هذه الآيات مع الفاتحة، مع آية الكرسي، مع قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وشرب منه، واغتسل بالباقي؛ فالغالب أنه يزول أثره ويطلق حبسه^(١).

وقد ذكرت شيئاً من ذلك حول هذا الفتوى، فتوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله في موضوع التشخيص في كتاب (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي)^(٢).

(١) موقع الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله.

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٣٨).

وقفة حول أثر المعصية

للمعصية أثرها السيئ على الدين والدنيا والأبدان والعقول والمشاعر والأنفس والبلدان، قال - تعالى -: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (١)(٢).

هذا وإن الإنسان ليستغرب من بعض حالات الانتحار^(٣) وكيف الإنسان يهلك نفسه بمحض إرادته والله - عز وجل - قد أودع في الناس العقل وحب الحياة، لكن لما ضعف اليقين بالله، وضاعت عليه الأرض بما رحبت، أقدم على هذا العمل، نسأل الله السلامة، وعلى هذا يدرك المسلم الفرق العظيم بين شؤم المعصية وبركة الطاعة، قال - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٤)، وربنا عز وجل لا يظلم أحداً فالجزاء من جنس العمل قال - تعالى -: ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (٥)، وفي المقابل قوله - تعالى -: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (٦). وشتان بين حياة المؤمن وحياة الكافر قال - تعالى -: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (٧).

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: «إذا غلب الهوى، أظلم القلب، وإذا أظلم؛

(١) سورة الروم: (آية ٤١).

(٢) قال ابن زيد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: الذنوب، التفسير القيم لابن القيم (ص ٣٩١).

(٣) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٩٤).

(٤) سورة الجاثية: (آية ٢١).

(٥) سورة البقرة: (آية ١٥٢).

(٦) سورة التوبة: (آية ٦٧).

(٧) سورة الأنعام: (آية ١٢٢).

ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وأبغضهم»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ وَمَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٢).

واعتقد أنه ليس من المناسب، بل ولا يجوز تأنيب المستفيد عن أثر المعاصي كما يجتهد بعض الرقاة في المناصحة في أثناء الرقية خصوصاً في الحالات النفسية المتقدمة ومنها الاكتئاب، فالمناصحة التي في غير وقتها ربما تتحول إلى تشريب بالنسبة للمريض يُثير القلق، فيخالط العقل، ويزيد من حدة الاكتئاب. وكما قيل: بدلاً من أن تشير إلى الظلام أشعل شمعة، فالمريض بمثابة الجريح الذي ينزف دماً نتيجة حادث مروري، فينبغي على المُسعف^(٣) في مثل هذه الظروف، نقل المصاب على الفور إلى أقرب مستشفى في الحال، بدلاً من العتاب الذي لا يجدي مع المصاب على تهوُّره في القيادة؛ فالحادث بالنسبة للمصاب في حد ذاته كفيل على أن يرتدع عن أي مخالفة مرورية مرة أخرى، فالتصرف السليم مع المريض هو معاملته بالتي هي أحسن فعبارة المريض بإصابته بالمرض أبلغ من مناصحته عن التفريط فربما يحتاج إلى من يأخذ بيده ويرشده إلى كيفية التعامل مع معاناته وكيفية تجاوز ما قد يُعيد عافيته لكي تطمئن نفسه لمقاومة الاكتئاب ويتعرّف على طبيعة مرضه إلى جانب الرقية، ويُحَثَّ على دوام الصلة بالله -عز وجل- من خلال الأدعية والأوراد والأذكار وقراءة القرآن والصلوات؛ لأن من لازمها نهته عن الفحشاء والمنكر.

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص ٦٤٤).

(٢) سورة طه: (١٢٤).

(٣) كما قال ابن القيم رحمه الله (التلطف بالمريض والرفق به كالتلطف بالصبي): زاد المعاد، (٤/ ٢٠٦).

وقفة حول أثر الفراغ

حياة المؤمن مليئة بالأعمال الصالحة ولا يوجد فيها فراغ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾^(١)، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب في العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة^(٢).

قال تعالى: ﴿وَسَيَحِبُّ مُحَمَّدٌ رَّبَّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَذَّكَّرُكَ نَجْمُومُ﴾^(٣).
عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به؟ قال: (لا يزال لسانك رطب بذكر الله)^(٤).

وقال شيخ الإسلام -رحمته الله-: فالسكوت بلا قراءة ولا ذكر ولا دعاء، ليس عبادة ولا مأموراً به، بل يفتح باب الوسوسة، فلاشتغال بذكر الله أفضل من السكوت^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «من أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد»^(٦).

(١) سورة الشرح: (آية، ٧، ٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٣)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا.

(٣) سورة الطور: (آية: ٤٨، ٤٩).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم (٣٣٧٥)، وصححه الألباني.

(٥) الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٩٨).

(٦) طريق المهجرتين (٢/ ٥٩٧).

وصح عنه عليه السلام أنه قال: **(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)**^(١)، فكثير من الناس يفرط في صحته وعدم الاستعانة بها على الأعمال الصالحة في وقت فراغه، وهذه هي الخسارة الكبيرة، والغبن العظيم. والفراغ من أسباب انحراف الشباب كما قال أبو العتاهية: إن الشباب والفراغ والجدّة^(٢) مفسدة للمرء أي مفسدة^(٣)

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمته الله: «الفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبدل الفكر، وتخن العقل، وضعفت حركة النفس، واستولت الوسوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ. وعلاج هذه المشكلة أن يسعى الشاب في تحصيل عمل يناسبه من قراءة أو تجارة أو كتابة أو غيرها مما يحول بينه وبين هذا الفراغ، ويستوجب أن يكون عضواً سليماً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره»^(٤).

وقال الدكتور محمد كامل حسين، والدكتور عبد الحليم العقبي عن رأي الطبيب الرازي بأن أكثر أسباب المايلخوليا^(٥) هو الفراغ قول يجب أن يتدبره كل إنسان مريضاً كان أو معالماً^(٦).

(١) أخرجه البخاري، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (٦٤١٢) (٨/ ٨٨).

(٢) الجدة: الغنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَذِبٌ﴾ [العلق: ٦، ٧].

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٢٦٦).

(٤) من مشكلات الشباب، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٢٣).

(٥) تقدم تعريفها في كتاب: نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ٢٤).

(٦) انظر: الطب النفسي المعاصر، د. أحمد عكاشة (ص ٢٦).

وقفه حول الأخطاء الشائعة

تكررت مفاهيم خاطئة من بعض المراجعين، وربما نقلوها من بعض الرقاة، ومنها ما يلي:

١ - تحديد مدّة معيّنة لتكرار جلسات الرقية، وربما يصل بعضها إلى عدّة أسابيع أو أشهر، وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل، فربما هذه الطريقة تُعزّز الوهم^(١) لدى المستفيد.

٢ - اعتقاد بعضهم بأن الجانّ المتلبّس بالإنس لا ينطق إلا بعد عدّة جلسات^(٢)، وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل.

٣ - دخول أكثر من جنّي^(٣) في بدن المصروع، وهذا الكلام غير صحيح ويحتاج إلى دليل.

٤ - رقية المنازل، وهذا الكلام غير صحيح، كما ذكر الشيخ الدكتور/ عبدالله السند في الطرق المبتدعة: - تحصين البيت من السحر والعين، وذلك بالشخوص للمنزل والرقية في أركانه وأساساته وبعض الغرف^(٤).

٥ - اعتقاد بعضهم بأن استعمال المريض للأدوية^(٥) يحجب أثر الرقية وهذا الكلام غير صحيح؛ بخلاف قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لِّرَأْيَتِهِ خَشِيعَةً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٦)، فكيف بعقاقير طبيّة ونحوها؟!

٦ - اعتقاد بعضهم بأن المرض يزداد على المقروء عليهم بعد الرقية دليل على ضعف الجانّ المتلبّس بالمقروء عليهم أو السحر أو العين! وهذا الكلام

(١) انظر: (ص ١٢٥).

(٢) للمزيد انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١١٦).

(٣) انظر: (ص ١٣٤).

(٤) كتاب أحكام الرقية (ص ٨٤).

(٥) للمزيد: انظر: كتاب نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي (ص ١٨٩).

(٦) سورة الحشر، (آية: ٢١).

غير صحيح وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءً﴾^(١)، والعكس صحيح، فكلما ضعف الجان المتلبس بالمقروء عليه أو السحر أو العين في أثناء الرقية، كلما قوي جسده بعد الرقية بإذن الله -عز وجل-، فقد يتألم المقروء عليه في أثناء الرقية، كما يتألم المريض في أثناء العمليات الجراحية، ولكنه يتماثل للشفاء بإذن الله بعدها.

ومن جهة أخرى فقد يُكبّل الراقي^(٢) المقروء عليهم بتوهم السحر! وربما ترتّب على ذلك مفاسد كثيرة وقد تجرّه إلى العداوة بينه وبين أحد أفراد أسرته أو أحد أصدقائه، أو أحد زملائه، أو أحد العمالة المنزلية، أو أحد أفراد الدائرة المحيطة به، بأن أحدهم هو الذي عمل هذا السحر، وربما دفعت هذه العوامل إلى معاناة المستفيد بالقلق أو الاكتئاب.

وعلى كل حال علينا ألا نُغلب الجانب السلبي على الجانب الإيجابي لبعض الرقاة، فكم من المرضى شفاهم الله سبحانه وتعالى بسبب الرقاة، وعموماً، فإن هذه أسباب شرعها الله -عز وجل- وإلا فالشفاء من عنده سبحانه وتعالى، وكم من مرضى شفاهم الله بدون أسباب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

وفي الختام:

أَسْأَلُ الله -عز وجل- أن يشفى مرضانا ومرضى المسلمين، وأن يُعزّز الإسلام والمسلمين، وأن يحفظ بلادنا وولادة أمرنا وعلماءنا من كل سوء ومكروه، وأن يكفيننا شر الأشرار، وطوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة فصلت، (آية: ٤٤).

(٢) كما فعل ذاك الراقي. انظر: (ص ١٢٥).

مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض
Eradah Complex and Mental Health-Riyadh
Empowered by Riyadh Third Health Cluster



(شكر)

المحترم

الأخ الفاضل / محمد بن زيد الكثيري

نتقدم لكم بجزيل الشكر والتقدير على جهودكم الذي بذلتموها خلال عملكم في مجمع
إرادة والصحة النفسية بالرياض جعلها الله في موازين حسناتكم.

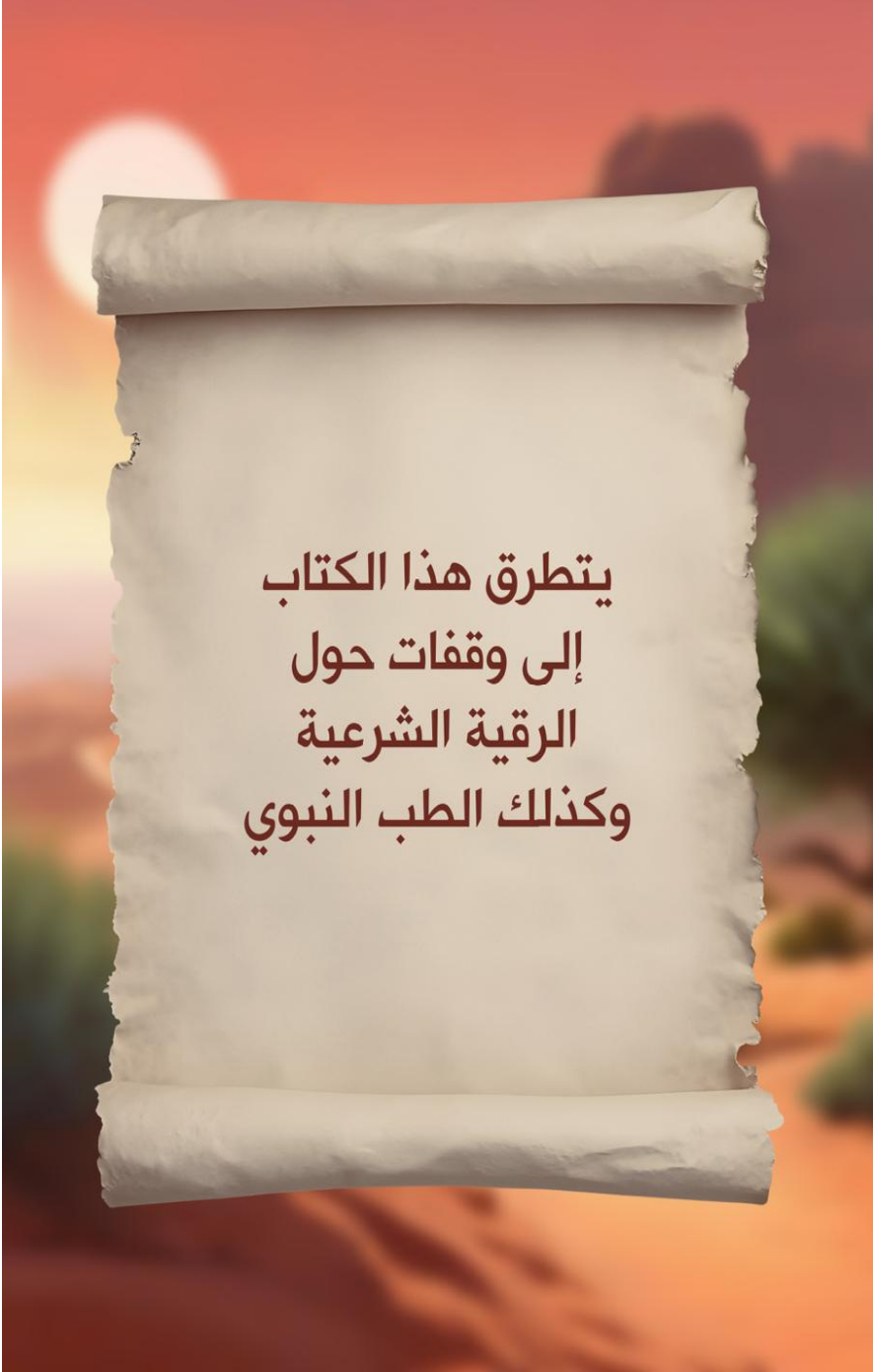
وكما أشكركم على إهدائكم كتابكم الموسوم (دليل الراقي والمستفيد)، أسأل الله لكم
التوفيق وينفع بكم البلاد والعباد.

أخوكم

المدير التنفيذي
لمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

د. محمد بن مشيب الأحمرى

١٤٤٤



يتطرق هذا الكتاب
إلى وقفات حول
الرقية الشرعية
وكذلك الطب النبوي